الهوامش والأطراف فى علاقة الثقافة الشعبية بالثقافة العالمية عصر العولمة

الاستاذ الدكتور
ماهر عبد القادر محمد على
استاذ فلسفة وتاريخ العلوم
عميد كلية السياحة والفنادق(سابقا)
جامعة الإسكندرية

بحث مقدم
إلى
مؤتمر تحليل الخطاب
٢٦-٢٨ /٣/ ٢٠٠٥
كلية الآداب- جامعة الكويت

شكر وتقدير

يطيب لى أن اتقدم بخالص الشكر وأوفره للسيد الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب جامعة الكويت الفتية والفاضلة الاستاذة الدكتوره زهرة على مساعد عميد كلية الآداب للبحث العلمى على كريم دعوتهما لى للاسهام ببحث عن العولمة وموقفنا الثقافى منها ، وقد اخترت أن يكون البحث عن الهوامش والاطراف فى بيان موقفنا العربى من العولمة . لهما منى الشكر والتقدير ، ولجامعة الكويت دوام التوفيق والرفعة .

ملخص

إذا كان عصر العولمة هو عصر الثقافات المفتوحة ، فمن الطبيعى أننـــا نكون فى مواجهة تصورين للثقافة وهما الثقافة العالميـــة التـــى تعبـــر بالضرورة عن العولمة وهو مانطلق عليه ثقافـــة العولمـــة ، والثقافـــة القومية أو الوطنية التى هى ثقافة أى شعب من الشعوب (وهى فى هذه الحالة ، أى فى التقائها بالثقافة العالمية تصبح عبارة عن ثقافة شـــعبية أو محلية) يكون السؤال الملح فى هذا الاطار هو: كيف يمكـــن للثقافـــة القومية التى سوف تصبح بمثابة الثقافـــة الـــشعبية ، أو المحليـــة ، أن تتفاعل مع الثقافة العالمية أو ثقافة العولمة ؟ أو كيف يمكن لنا تـــصور الأطر التى تحكم العلاقة بين وافد ثقافى منفتح ومتطور دوما هو المكون الرئيس لثقافة العولمة، ويشكل ما يمكن أن نطلق عليه العقـــل المفتـــوح Open Mind، وبين الثقافة القومية أو الشعبية ، (أى المحلية أو الوطنية) التى توصف فى هذا الاطار بأنها متقوقعة ويمكن أن تمثل ما نطلق عليه العقل المغلق *Closed Mind*؟

إن تصور العلاقة المشار إليها يؤسس الاشكالية الأساسية فى الالتقـــاء بين الثقافتين أو العقلين . كما أنه يشكل حلقة الفعل والانفعـــال أيـــضا . وهذه الاشكالية بدورها تحدد السؤال عن العلاقة بـــين المركـــز(ثقافـــة العولمة) والهوامش أوالأطراف(الثقافة القومية) فى هذا الاطار .

إن انتاج الثقافة القومية إنما هو انتاج محدود ، وهـو يواجـه انتاجـا لامحدود من جانب الثقافة العالمية . هذا فضلا عـن أن انتــاج الثقافـة القومية إنما يشكل جزءاً من تمحور الذات حـول ابـستمولوجيا تمجيـد الذات والفرد التى تعبر عـن ثقافـة مغلقـة ، وتـسدل الـستار علـى ابستمولوجيا أخرى تطرح بديلا .

١- مدخل مفهومى

ظهر مصطلح العولمة[1] كاستجابة للمتغيرات الجوهرية فى النظام الدولى ، ولتدشين مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الحديث. وتعبيراً رمزيـاً عـن بروز وتوسع قيم ومفاهيم حضارة معينة باتجاه محاولة الـسيطرة علـى حاضر البشرية ومستقبلها، على أن تسير هذه الـسيطرة فـى اتجـاهين رئيسيين هما : الاتجاه الأول ، هو ترويج الثقافة الأمريكية بذات المنظور السلعى الاستهلاكى ومن خلاله . والاتجاه الثانى ، ويتمثل فى العمل على تفكيك منظومة القيم المتعارضة والمضادة مع البنية الثقافية السائدة لديها . وبينما يتخذ الاتجاه الأول أساليبه فى السيطرة والهيمنـة بواسـطة أدوات تكنولوجية متعددة ووسائط اقتصادية وسياسية متنوعة ؛ نجد الاتجاه الثانى يتحقق من خلال أدوات " ومستوطنات" ثقافيـة محليـة تحمـل نزعـات وتوجهات يطلق عليها " الليبرالية العربيـة الجديـدة" أو " الامبريـاليون العرب" وهم فى الغالب فئة أو شريحة جديدة على المجتمع العربى تحمـل توكيلات أمريكية وجنسية وثقافة الغرب .

والعولمة من الناحية المفهومية تبرز لنا أمرين أساسيين ، أولهما نظـرى يشير إلى جعل الشىء على مستوى عالمى ، أى نقله من حيـز المحـدود

إلى آفاق اللامحدود ، أى العالم كله[2] . والأمر الآخر تطبيقى ويتمثل فى " تعميم الشىء وتوسيع دائرته أو تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية تختص به جماعة محددة أو نطاق معين أو أمة بذاتها على الجميع ، أى العالم بأسره ."[3] وفى تكامل هذين الاطارين " النظرى والتطبيقى" ، تبرز لنا فكرة " السيادة" على عقل ووجدان وثقافات الأمم ، وتصبح فكرة العالمية أو مقولة العولمة هنا ليست تشاركا وتعاوناً فعالاً وايجابيا بقدر ماهى غزواً واضح المعالم وعلاقة ثنائية متجهة (من – إلى) ولا تحتمل الرد أو العكس ، أى من العقل الغربى إلى باقى جغرافية العالم، وهو ما سنكشف تفاصيله واشكالياته فى ثنايا هذا البحث.

لكننا قبل أن نقدم إجابة على الإشكالية التى يطرحها هذا البحث والمتمثلة فى العلاقة بين الثقافة القومية التى تعتبر هوامش أو أطراف والثقافة العالمية التى تعتبر المركز نريد أن نقف على حقيقة الفهم الغربى والعربى لتصور العولمة كما طرح على الساحة من قبل بعض المفكرين.

٢- تصور بعض الدراسات الغربية للعولمة

نريد أن نشير فى هذا الصدد إلى تصور الدراسات العالمية التى صدرت عن العولمة لما تقدمه هذه الدراسات من تصورات أولية تعكس منظور الغرب عن مسارات العولمة. والدراسات التى نشير إليها هنا ليست سوى عينة من عدد كبير من الدراسات التى تنامت بشكل كبير على الساحة العالمية.

أما الدراسة الأولى[4] فقد جاءت من قبل خبير فى الشئون السياسية العالمية والأمريكية عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش،

وهو البروفيسور ريتشارد هاز R.Haas الذى استوقفته مسألة انتهاء الحرب الباردة بين القطبين، فأصدر كتابه بعنوان ***The Reluctant Sheriff*** فى عام ١٩٩٧ والذى أراد من خلاله أن يبين الدور الأمريكي وينبه على أهميته. فبعد انتهاء الحرب الباردة وتقلص النفوذ السوفيتي إلى درجة غياب دور الروس على الصعيد الدولى كقوى عظمى، وما أدى إليه توقف فاعلية هذه القوة من حدوث تفكك إلى حد الانهيار فى النظام الدولي، وضعف دور منظمة الأمم المتحدة باعتبارها تعبيراً عن إرادة شعوب العالم. أصبح من المحتم أن تكون هناك قوة تسير دفة النظام الدولي الذى هو بحاجة إلى شرطي (وهو ما نص عليه المؤلف صراحة فى عنوان كتابه). وتأسيساً على هذا فإنه من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية من منظور الأمن القومي الأمريكى، وحفاظاً على المصالح الأمريكية فى العالم،شرقه وغربه، أن تلعب دور الشرطي مهما كلفها هذا على الصعيد العسكري أو السياسي. والشيىء الطبيعى أن الشرطى سوف يقوم بدوره وواجبه فى تنفيذ القانون الذى يخول له سلطة توقيف أو عقاب الآخرين ، أو حتى فرض ارادته عليهم . والشرطى أيضا يملك السلاح الذى لايتوافر فى أيدى الآخرين ، حتى وإن وجد فسوف يكون بالضروة أقل كفاءة وفاعلية ، ويمكن تدميره فى أى وقت ، وكل وقت ، حسب ما يعن له . إن تصور الشرطى فى حد ذاته يقدم لنا تداعيات كثيرة ترتبط بالعمل والتنفيذ واستعراض القوة، وهو ما نلاحظه الآن فى سلوك أمريكا كدولة عظمى فى العالم ومحاولتها فرض إرادتها على شعوب الأرض من منطلق القوة التى تدعمها ترسانة الأسلحة الفتاكة.

وهنا نأتى إلى التصور الحديث للعولمة السياسية. هـل تـشكل العولمـة السياسية ونتساءل:هل تشكل العولمة السياسية خطراً محققاً علـى الـدول الصغرى ؟ وهل هى فعلا تعبر عن إرادة الأقوى فى مقابل الأضعف ؟

لقد ظهرت مع مطلع العصر الحديث بعض المفاهيم الأساسـية التـى شكلت التصورات الغربية فى مجال السياسة على وجه الخصوص ، ومن أهم هـذه المفاهيم: مفهوم السيادة ، والعقد الإجتماعى ، ومفهوم الحرية . وارتبطت هـذه المفاهيم بصورة مباشرة بما ذهب إليه كتـاب الغـرب ، خاصة جون لوك ، توماس هوبز ، منتسكيو ، وروسـو ، مـن المنـاداة بالديمقراطية ، والانتخابات المباشرة ، وحقوق الإنسان ، وفصل السلطات، والعلمانية وغيرها من المفاهيم الأخرى التى تأسست بناء عليهـا نظـرة الغرب الأوروبى والأمريكى ، الـذى حاول الترويج لها خـارج حـدود القارتين الأوروبية والأمريكية ، بل وحددت تلك المفاهيم بدرجـة كبيـرة نظرة الغرب إلى الآخر من منطلق فكرى وثقافى وايديولوجى ، وهو مـا يمثل فى نهاية الأمر رغبة ملحة فى فرض سياسات استعمارية على دول الجنوب والشرق ، ونهج استبدادى يستهدف محاصرة القوى الحية والفاعلة والمؤثرة فى نهضة الأمم ، ومعاداة كل نسق وطنى مقاوم لسياسا الهيمنة، وتفكيك ترسانة الهوية وحصونها المنيعة من أجل فـتح أسـواق تجاريـة لمنتجاتها وفتح عقول لثقافتها وقيمها واعادة تنميط العالم تحت ما يـسمى بشعار " النظام العالمى الجديد" الذى أعلن عنه جورج بوش الأب . وجاء هـذا التحول من منطلق حماية الدولة القومية فى أوروبا(التى أصـبحت منذ القرن الماضى شريكا فى العولمة بعد تأسـيس الاتحـاد الأوروبـى)

والدفاع عن الكيان الغربى وتأمينه مـــن الأخطـــار الخارجيـــة . إن هـــذا التداخل الحادث فى العالم الآن ، والذى نتج كمـــا أســـلفنا عـــن التحـــول العقائدى الغربى من كيان متجانس موحد إلى كائن وحش تقوده مؤســـساته العسكرية والاقتصادية لغزو العالم وتحقيـــق مكاســـب وأربـــاح وســـيادة وسيطرة ، جعل من الممكن الحديث عـــن سياســـة عالميـــة تحمـــل فـــى مضمونها قسمات مشتركة وفى بعض جوانبها سمات متـــشابهة .إذ يـــرى بعض المفكرين أن " السياسة فى كل أرجاء العـــالم أصـــبحت مرتبطـــة بالسياسة فى كل أنحاء العالم "[٥] ، وهـــذا الرأى إن كان يمثل شيئا فإنمـــا يمثل الإنفتاح والتبادل والتأثير بين القوى السياسية ، وهنا نلاحظ ظهـــور مجموعة من المفاهيم والتصورات على مسرح الفكر العالمى مثل حقـــوق الإنسان ، الإرهاب الدولى ، الجريمـــة المنظمـــة ، غـــسيل الأمـــوال ، المخدرات ، الصراعات العرقية ، الاحتلال الاستيطانى ، وما صاحب كل هـــذا من ظهور منظمات عالمية مثل الإتحاد النسائى العالمى ، منظمـــات الدفاع عن الأطفال وغيرها من المنظمات التـــى تـــدافع عـــن الكيانـــات والتصورات على السواء .وترتب على هـــذا أن المفـــاهيم والتـــصورات المشار إليها أصبحت جزءاً فاعلاً من ثقافة المجتمع الـــدولي، أى جـــزءاً محوريًا من ثقافة العولمة، ومن ثم انسحبت فى ظل العولمة على الحـــدود السياسية للدولة ، وأثرت في مفاهيم السيادة الوطنية والقوميـــة والأمـــن . وهذا يعنى أن العولمة "تمثل تهديداً كبيراً للدولة القومية .... لأنها تفرض عليها تحديات من أعلى (من خارج الدولة القومية)"[٦]. إنها إذن " مفهـــوم ابتلاعى" لا يقبل أن يعيش فى الظل أو أن يتوارى حتى أمام أكثر مفـــاهيم

علم السياسة رسوخا كمفهوم الدولة "[٧] . فالشركات متعـددة الجنـسيات والنظم القانونية والسياسية والمؤسسات الثقافية والاعلام الهوليودى جميعها ترسخ لقيم أمريكية وغربية بما يشكل خطراً داهما على الثقافـة الوطنيـة التى تعبر بصورة مباشرة عن الدولة القومية أو الأمة " فنتيجـة التـرابط الوثيق بين مكونات النظام الدولى وتـدافع عمليـة الاعتمـاد المتبـادل ، وخاصة فى المجال الاقتصادى مـع اتـساع رؤوس الأمـوال والهجـرة الدولية، أصبحت سيادة الدولة مسألة محل تهديد "[٨]. وهذا يعنى أنـه فـى إطار هذا التصور يوجد مركز للفعل ومراكز للانفعال ، وهو مـا سـوف نشير إليه بعد قليل.

وهنا يمكن أن نلمح أن عنصر السيادة الوطنية يتأثر فى ظل العولمـة السياسية ، لأن الضغط الاقتصادى الـذى تمارسـه الـشركات متعـددة الجنسية سوف يجعل دور الدولة يتراجع إلى حد بعيد أمام الشروط المسبقة التى تفرضها تلك الشركات مثل الاعفاء الضريبى والجمركى وحرية رأس المال ، ويترتب على هـذا أن يصبح قـرار الارادة الـسياسية الخـاص بالأمن القومى الاقتصادى مرتبطاً إلى حد كبير بتوجهات تلك الـشركات وبالاقتصاد العالمى ككل . الأمر الـذى يبدو لنا بوضوح تام فى التـأثير على مراكز صنع القرار بما يتفق والتوجه الاقتصادى لرأس المال الوافد ، ومن ناحية أخرى يؤدى هـذا إلى إلى بروز قوى الـضغط الاجتمـاعي الجديدة داخل دول الجنوب لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية أو السياسية أو غيرها ، بحيث تصبح القوى الخارجية فى كثير من الأحيـان بمثابـة أصابع ضغط على حكومات الجنوب ، مما يسهل مهام تلك الشركات .

ومن ناحية الأمن فإن العولمة سوف تفرغ على هــذا التصور مضموناً جديداً ، إذ لم يعد ينظر إلى الأمن من الناحية العسكرية فحــسب ، وإنمــا ينظر إليه على إنه أمن اجتماعى قيمى ثقــافى علمــى ، ولاســيما " وأن مؤسسات الاجتماع والثقافة التقليدية وهما الأسرة والمدرســة لــم تعــودا قادرتين وفق صيغ أدائهما الحالية على حماية الأمن الثقــافى للمجتمــع ، والايفاء بحاجات أفراده من القيم والرموز والمعايير والمرجعيــات التــى أصبحت تصاغ خارج الجغرافيا والاجتماع والثقافة الوطنية"[٩] وربما مثلت ظاهرة هجرة العقول العلمية وصــناعة الاعــلام وتكنولوجيــا الإثــارة والتشويق ، وقنوات بث البرامج السياسية والترويج للــنمط الاســتهلاكى الأمريكى ما يعبر عن هــذا التصور فى أدق معانيه.

بيد إن العولمة السياسية اتخــذت لترسيخ تصوراتها منطلقين أساســيين هما : الأول ويتمثل فى الانهيار الذى حدث للاتحاد الــسوفيتى والنظــام الاشتراكى الــذى كان يمثله والــذى طبق فى العديد من الدول . وما تبعه من التحولات الجذرية التى شهدتها بعض الدول ــ التى كانت أصلا ضمن منظومة الاتحاد السوفيتى ــ إلى النظام الليبرالى الغربى فى الربع قــرن الماضى . والثانى يتمثل فى تراجع الدور التاريخى لحركة عدم الانحيــاز التى تأسست وفق مرجعية مؤتمر باندونج ١٩٥٥ وظلت لعقود تعمل على مناهضة مبكرة للعولمة الأمريكية فى نزوعها لاستقطاب الأمم إلى نهجها السياسى والاقتصادى . إن هذا التراجع أثر بلاشك فى قدرة شعوب العالم الثالث على المقاومة والتحصن خلف جدار ســميك مــن روح ومــصالح

وأهداف الشرق العليا . لكن الـــذى لاشك فيه أن هـــــذه هـــى القـــشرة الخارجية لزيف العولمة السياسية كما هى مطروحة على المشهد العالمى .

وأما الدراسة الثانية فهى تلك التى صدرت فى لندن عام ١٩٩٨ بعنوان **(العولمة: النظرية والتطبيق)** للأستاذ الكنور كوفمان، والتى يلفت فيهـــا الأنظار إلى ضرورة بحث العولمة ودراستها باعتبارها ظـــاهرة تـــستحق الدراسة لأنها معقدة ومتشابكة الجوانب، ومتعددة الأوجه ولها آثارها على مختلف الأصعدة. ومن هذه الزاوية نجد الأستاذ كوفمان يؤكد أن ظـــاهرة العولمة تستحق أن ينكب على دراستها فريق بحثى متكامل مـــن علمـــاء الاقتصاد والسياسة والاجتماع والفلسفة والجغرافيا الثقافيـــة والجغرافيـــا السياسية، لبيان واستكشاف تأثيراتها المتناميـــة علـــى الـــذات الثقافيـــة، وتأثيراتها على دور الدولة، وما تؤدى إليه من نتائج فيما يتعلق بالقوميات، " حيث لافاصل حقيقى فى سيرورة العولمـــة بـــين متغيـــرات الاقتـــصاد والسياسة وبين قيم الثقافة ."[١٠]

وانطلاقا من المنظور المتقدم نجد الأستاذ كوفمان يتصور أن استحقاق ظاهرة العولمة للدراسة يأتى من خلال أربع منطلقـــات أساســـية: أولهـــا منطلق يدرس مسألة التنظير للعولمة من خـــلال منظـــور علمـــاء اللغـــة والاتصال وعلماء الجغرافيا الثقافية والاقتصاد السياسي. والمنطلق الثـــانى يبحث فى الدولة والهجرة وتأثير الإعلام وقوته والذات الثقافيـــة، خاصـــة وأن نفاذ وفاعلية دور وسائل الإعلام أصبح يشكل بعدًا رئيسيًا فى الفهـــم السياسي والثقافي.

وأما المنطلق الثالث فيبين فيه الأستاذ كوفمان الجوانب العملية إذ يتعقب أثار العولمة ذاتها على الحركات النسائية فى العالم.

ورابع هذه المنطلقات ما يسمح بالكشف عن أثر العولمة علـــى مـــسألة المساواة داخل البلد الواحد وأثرها بين بلدان العالم المختلفة.

ولكن ماذا عن بلدان العالم الثالث، أو البلدان النامية ؟ وكيف تصورت الدراسات الحديثة وضع هذه البلدان فى إطار صيغ العولمة التى تتفاعل ، أو يتم الترتيب لها عالميا؟ وما هو دور هذه الدول ؟.

مثل هذه الأسئلة طرحتها دراسة صدرت فى واشـــنطن عـــام ١٩٩٧ بعنوان " العولمة الجديدة والبلدان النامية " وهى دراسة قدمها الأستاذ جون داننج وزميله خليل حمداني. إن البلدان الناميـــة تواجـــه مجموعـــة مـــن التحديات المباشرة، إذ العولمة سوف تكشف عن حساب للأرباح والخسائر ينتج ضرورة من جراء عمليات الاستثمار العابرة للحدود والقارات. وهنا فإن السؤال الذى يطرح نفسه إنما يكون عن الدور الذى يجب أن تقوم بـــه المنظمات الدولية من أجل تقنين العولمة وزيادة فرص الاستفادة منها مـــن جانب الدول النامية.

إن العوامل التى يمكن أن تدفع بالدول الناميـــة إلـــي زيـــادة فـــرص الاستفادة من العولمة يمكن تصورها من خلال استثمار العنصر البـــشرى ورفع كفاءاته، وأهمية تحديث البنية التحتية للبلـــدان الناميـــة ، وتـــوفير الفرص الملائمة والضرورية للاستثمار، وضرورة العمل علـــى تـــشجيع القطاع الخاص الاستثمارى، وضرورة تحسين وتحديث الخـــدمات التـــى يمكن أن تؤدى لرجال الأعمال لزيادة فاعلية عمليات الاستثمار ذاتها.

والواضح إذن أن هذا المنظور يشكل بعدا مهما فى النظـر لوضـعية البلدان النامية من حيث الكيان الاقتصادى، ويبين فى الوقت نفسه مـدى انعكاسه على علاقات التفاعل بين الدول النامية والعولمة، وأى اخفاق فى عدم الوفاء بهذه العوامل سيؤدى إلى زيادة حساب الخسائر بالنسبة للبلدان النامية.

وأما الدراسة الثالثة التى صدرت عن العولمة وأبعادها المختلفـة فـى كتاب الصحفي الأمريكي توماس فريدمان بعنوان *The Lexus And The Olive Tree : Understanding Globalization* فقد صدر فى أواخر عام ١٩٩٩ وترجمته الى اللغة العربية الأستاذة ليلى زيدان فى ترجمة دقيقـة صدرت فى القاهرة فى مطلع عام٢٠٠٠ بعنوان (السيارة ليكساس وشجرة الزيتون : محاولة لفهم العولمة) . وأبرز ما فى هذه الدراسـة أن الكاتب، وهو أمريكي، قد عرى البنية التحتية للدراسات السابقة علية فـى مجال العولمة والتى نختار من بينها كلامـه عـن هنتينجتـون وصـدام الحضارات . يقول فريدمان فى مقدمته : ورأى هنتينجتـون الـصراعات الثقافية حول العالم ووسعها فى جموح لتصبح تـصادما مـستمرا وحـاد التعريف للحضارات ، بل إنه أعلن أن الحرب العالمية القادمة ، إن حدثت "ستكون حربا بين الحضارات"، ويستطرد ... أما وجهة نظر هنتينجتـون فهى أنه بانتهاء الحرب الباردة ، لن يكون السوفيت هناك لنوجـه إلـيهم عداءنا بعد الآن ، ومن ثم فسوف نتحول نحن بعدائنا بطبيعة الحال نحـو الهندوس والمسلمين .

وهناك دراسات أخرى تحاول أن تنظر للعولمة من خلال مراحلهـا ، ومن بين هذه الدراسات المهمة تلك التى قدمها لنا روبرتسون حيث طرح رؤية تنظر إلى العولمة من خلال خمس مراحل هى[١١] :

المرحلة الأولى هى ما يطلق عليه المرحلة الجنينية ،وتبـدأ مـن القـرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر . وهـذه المرحلة تتمثـل فيها فكرة ظهور القوميات واضعاف القيود بين الأمم.

المرحلة الثانية وهى مرحلة النشوء وتمتد من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٧٠ ، وأهم ما يميز هـذه المرحلة أنها تعبر عن تطور فكرة الدولة المتجانسة ونمو العلاقات الدولية .

المرحلة الثالثة وهى مرحلـة الانطـلاق ، وهـذه المرحلـة فـى رأى روبرتسون تبدأ من العام ١٨٧٠ حتى العشرينات من القـرن الماضـى ، وفى إطار هـذه المرحلة بدأت تتبلور فكرة المجتمع الدولى وانشاء عـدد من المنظمات ذات الصفة العالمية ودخول النظـام الرأسـمالى مرحلـة الامبريالية .

المرحلة الرابعة وهى مرحلة الصراع من أجل الهيمنة ، وهـذه الفتـرة تبدأ من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٦٥ وأهم ما تتسم به هـذه المرحلـة تداعى الصراع الكونى وتقسيم العالم .

المرحلة الخامسة وهى مرحلة عدم اليقين ، وتبدأ من عام ١٩٦٥ وحتـى التسعينات، وتتميز هـذه المرحلة بأنها اتخـذت خطوات واسعة باتجـاه السيطرة والاندماج وفتح الأسواق وتفعيل قوى النتاج الرأسمالى والهيمنـة الثقافية والاقتصادية على العالم .

إن هذه التصورات وغيرها تستدعى منا أن نقف لندرس فى هدوء وروية تأثيرات ما يصدر فى الغرب علينا وكيفية التعامل مع أطروحات الغرب من خلال مخزون الأمة ورصيدها الثقافي. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو ، كيف تصورت الكتابات الغربية العولمة؟ كيف قرأت محاورها وصيرورتها ونهجها ؟ بالتأمل فى الأفكار والرؤى السابقة نكتشف أنها :

١- محاولات عبرت عن رغبة تأصيلية سواء من ناحية المفهوم أو البعد التاريخى أو العناصر المكونة والمؤثرة فى حركتها وفاعليتها ولاسيما فى الجانب الثقافى . ومن زاوية أخرى نجد هذه الكتابات قد عبرت عن العقل الغربى من حيث اعادة التأكيد على المقولات الأساسية للفلسفة الأوروبية ، وبصفة خاصة فلسفة السياسة فى الاعلاء من شأن الحرية الشخصيية وحقوق الأفراد وحق التملك والدعاية والترويج الاعلامى . إن ظاهرة العولمة – وفق ما تبدو لنا فى مظهرها الأمريكى- تعكس بجلاء تطور وتنامى ايديولوجى استعمارى لايزال مصراً على احتلال الأوطان واستعمار الشعوب واختراق العقول وطمس الهويات ، وليس بعيداً عنا مايحدث فى بقاع كثيرة من محاولات لتغيير منظومة القيم وسرقة آثار وحضارة الشعوب .

٢- إن هذا التصور المعرفى الغربى للعولمة (وهو تصور رسمى حكومى تسيطر عليه جماعات الضغط الاقتصادية والاعلامية والدينية) يكشف عن موقف مسبق فى انكار كل امكانية لاحتواء أى ثقافة مغايرة على أسس ومرتكزات مؤهلة لإدارة حوار متكافىء .

٣- إن هناك حركة مناهضة للعولمة تتنامى بصورة مطردة وتتزايد وتيرتها كلما تصاعدت حدة الهجوم المعولم على حضارات وثقافات الأطراف . وتتمثل تلك الحركة من مفكرين ورجال سياسة وفنانين ورجال دولة وبرلمانيين وقادة الحركات الشعبية وجمعيات البيئة وحقوق الإنسان ... الخ ، وأن ما شهدته جنوب افريقيا (ديربان) والبرازيل (بورت اليجرو) والهند(دلهى) من مؤتمرات وفاعليات ضخمة فى السنوات الأخيرة شارك فيها مئات الآلاف من مثقفى العالم ، ليس هذا سوى تعبير عن بوادر عولمة أخرى بديلة تقوم على احترام الثقافات والهوية .

ولكن قبل هذا علينا أن ننظر فى التأثيرات والأبعاد المترامية لمنظومة العولمة من الناحية الثقافية وأثر العولمة على الشخصية القومية .

فى مقابل الدراسات الغربية نشأت بعض الدراسات العربية التى علقت أو شرحت أو تناولت أفكار العولمة الراهنة والمتوقعة مستقبلا . وقد جاء تلك الدراسات كرد فعل للدراسات الغربية . حقيقة قدمت لنا هذه الدراسات تصورات مهمة ، من خلال منظوراتها، وألمحت إلى ضرورة أن تنشأ دراسات لاحقة تتناول الأبعاد المختلفة لظاهرة العولمة وتناميها وتأثيراتها على العالم العربى .

٣- تصور بعض الدراسات العربية للعولمة

حاولت الدراسات العربية جاهدة أن تواكب الدراسات الغربية فى مجال فهم ودراسة ظاهرة العولمة . ومع أن هناك دراسات متعددة فى هذا الصدد ، حيث أن العولمة استرعت اهتمام المفكرين العرب ، وكل واحد منهم يحاول أن يستلهم منها المعانى والأفكار بصورة أو بأخرى ، بحيث

يمكن من خلال هذا الاستلهام الكشف عن المعانى الكامنة فى العولمة ؛ إلا أننى أريد أن أتوقف عند ثلاث دراسات مهمة لما تحتويه تصوراتها من أهمية فى فهم العلاقات الثقافية بين الثقافة القومية/أو (المحلية) والثقافة العالمية .

3.1- تصور عملى ينظر إلى العولمة على أنها " **ليست محض مفهوم مجرد ، فهى عملية مستمرة**. وفى اطار هذا التصور يتساءل عالم الاجتماع السياسى العربى الأستاذ السيد ياسين فى كتابه العولمة والطريق الثالث " ***هل يمكن لدولة ما- أيا كان نظامها السياسى- أن تحصل على تأشيرة خروج من النظام العالمى ، بمعنى أن تنفلت من آساره ، وأن تبنى تجربتها فى التنمية بعيدة عن تشابكاتها ، متحررة من قيوده ، أم أن هذا المطلب فى حد ذاته ضرب من ضروب الأوهام؟***"[١٢]. وفى اجابته على هذا التساؤل يستبعد امكانية الخروج على النص العالمى الذى رسمته العولمة ، ولكن هذا لا يمتد ليطال دور العولمة فى محو الهويات الثقافية ، ويرى ضرورة التعامل مع العولمة كظاهرة تشتمل بداخلها على عناصر التقدم لأنها " عملية تاريخية غير قابلة للارتداد" وهى كذلك سوف " تحدث آثاراً ايجابية لم تكن متصورة لدى من هندسوا عملية العولمة " ، وبما أن العولمة ظاهرة إذن نحن بحاجة إلى منهج صحيح للتعامل معها ، ووفق هذا التصور يصبح المنهج النقدى الموضوعى الذى يراه الأستاذ السيد ياسين هو سبيل الدراسة لأنه "***يتسلح بالأدوات النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع المعاصر ليقدم بأمانة علمية سلبياتها***

وايجابياتها"[١٣]. ولكننا نتساءل بدورنا:هل أدوات الغرب ومنهجيتـه هـي نفس أدواتنا؟

إن الاجابة التى يقدمها لنا الأستاذ السيد ياسين تنطـوى علـى تـداخل منطقى ، إذ كيف "ينكر امكانية الخروج على النص العالمى الذى رسـمته العولمة" ثم يقرر ضرورة التعامل مع العولمة كظـاهرة تـشمل بـداخلها عناصر التقدم؟ والأمر الآخر الذى يجب أن ننتبه إليه هنا هو : كيف يمكن لوسائلنا ومناهجنا القاصرة التى تعبـر عـن ثقافـة مغلقـة *CLOSED CULTURE* ، كيف يمكن لها أن تعبر عن ظاهرة الثقافة العالمية؟ بمعنى آخر كيف يمكن للمغلق أن يعبر عن المفتوح؟ وكيف يمكن للمغلق أن يفهم منتوج المفتوح؟ هذه هى المشكلة التى تواجه رأى الأستاذ السيد ياسـين . ومن ثم فمن أين سيأتى بالمنهج الصحيح؟ إن المناهج ذاتهـا لابـد مـن معايرتها ، فأى المناهج سوف نستخدمها لمعايرة المـنهج الـذى سـوف نختاره والذى يرى أنه " المنهج النقدى الموضوعى"؟ وماهو معيار نجـاح المنهج الذى سوف نستخدمه فى المعايرة . ألا ترى معى أن هذه العمليـة سوف تؤدى بنا إلى دور منطقى (الحلقة المفرغة)؟

3.2- تصور ايديولوجى يرى أن العولمة ظاهرة تاريخية موضـوعية :

وهذا التصور تشكل من خلال نقد النمط الرأسمالى فى الانتـاج ، وفـى إطار هذه الرؤية تصبح العولمة فى نظر مجمود أمين العالم " تعبير عـن ظاهرة تاريخية موضوعية تمثلت – فى البداية- فـى ثقافـة ، بـالمعنى الأنثروبولوجى ، تخلقت وتشكلت فى رحم الأنساق الاقطاعية فى أوروبـا فى القرن السادس عشر الميلادى ، وتتسم بنمط انتاجى جديد مختلف ، هو

نمط الانتاج الرأسمالى ، الذى أخذ يمتد نتيجة لطبيعته التوسعية التنافسية داخل أوروبا ثم خارجه ، بمختلف اساليب التدخل والسيطرة العسكرية والتجارية والاقتصادية والثقافية ، وبها جميعا ، حتى شمل كل أرجاء الأرض .... وأصبح يمثل حضارة عصرنا الراهن "[١٤]. ولكن ينبغى لنا أن نتساءل ما الذى يطلعنا عليه هذا التعريف وما هى أبجدياته الأساسية؟ وكيف ينظر إلى الظاهرة ويشخصها؟ ذلك لأن فهم هذا المنحنى يكشف لنا بعض الأبعاد المهمة فى تكوين وتشكل الظاهرة. إن أول ما يثبته هذا التعريف أن ظاهرة العولمة فى حد ذاتها ظاهرة تاريخية موضوعية وجدت بذورها ونواتها الأولى فى المجتمع الاقطاعى الأوروبى ، وهذا التقرير يتنافى مع ما سبق أن ذهبنا إليه من أن هذه الظاهرة قديمة جدا ويرجع تاريخها إلى زمن الاسكندر الأكبر . ولكن التعريف يقرر أن الظاهرة نمت وتفرعت أبعادها عن طريق نمط الانتاج الرأسمالى بمختلف أساليبه التوسعية والتنافسية .ومن جانب آخر فإن ظاهرة العولمة اكتسبت قدرا كبيرا من السطوة والتوسع من خلال عدة أبعاد ثقافية واقتصادية وعسكرية ... مما يعنى أن محمود أمين العالم هنا أحدث نوعا من التلازم الضرورى بين البعد التاريخى للظاهرة فى ارتباطها بنمطى الانتاج الاقطاعى والرأسمالى وبين البعد الثقافى لها وقدرته على ترويج الظاهرة عالميا ، لكن لم يكن من الواجب أن يحتوى التعريف على الظاهرة بصورة شمولية من كافة جوانبها.

3.3- تصور وظيفى يرى أن العولمة اسقطت الحدود والحواجز ، وهذا التصور يعبر عنه حيدر ابراهيم على ، حيث يعتبرها " عملية نهاية

الحدود والحواجز من خلال دور التكنولوجيا فى المواصلات والاتصالات وحركة العمليات التجارية ورؤوس الأموال مع تعميم قيم ومبادىء سياسية مثل الديمقراطية وحقوق الانسان وانصاف المرأة والأقليات ، ثم انتــشار أنماط ثقافية ذات مرجعية واحدة ، غالبا ما تكون أمريكية غربيـــة"[١٥] . إن السؤال الطبيعى الــذى يجب أن نتنبه له هنا يتمثل فى مفــردات هــــذا التعريف ومكوناته ، خاصة وأنه يتحدث عن أمور متعددة تلقـــى أضـــواء كاشفة على العولمة فى تصوراتها الأساسية .

يتحدث تعريف حيدر ابراهيم فى التعريف من حيــث تــصوره عــن "عملية نهاية الحدود والحوجز" ، فالعولمـــة تـــسقط الهويـــات ، وتطـــيح بالخصوصيات ، وتعمل على تـــذويب الحـــدود ، واســـقاط المـــسافات ، وهـــذا هو ما يجعل الأشياء ، وفق هـــذا التصور ، عالمية. وانطلاقا من هـــذا التصور ركز التعريف على الدور الفاعل للتكنولوجيا فـــى تحجـــيم بعدى الزمان والمكان ، فبعد أن كانت المسافات شاسعة وتحتـــاج زمانـــا لنقطعها ، أصبحت قريبة بفضل التكنولوجيا الحديثة وهو ما نراه واضـــحا من خلال شبكات الانترنت والكمبيوتر والأقمار الصناعية . ويرتبط البعد الفاعل فى هـــذه التصورات بتعاظم دور رأس المال من خلال الـــشركات متعددة الجنسية .

3.4- تصور يرى أن العولمة مازالت فى مرحلة التشكل : وهذا التصور جاء نتيجة قراءة ورصد للواقع المحلى والتطورات العالمية ، ومعنى هـــذا ان العولمة باعتبارها ظاهرة " مازالت فى مرحلة فهم واستكشاف القوانين الخفية التى تحكم مسيرتها والتى تسهم فى الوقت الراهن فـــى تـــشكلها ،

وهى فى الحقيقة ظاهرة غير مكتملة الملامح والقسمات بل إننا نستطيع أن نقول أن العولمة عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة "[١٦] . ومعنى هذا أن هذه الرؤية لا تبرز عناصر بعينها فى تحديد الظاهرة بصورة كلية وإنما سوف تركز عليه كعملية. وتأسيسا على هــذا يبدو لنا أن مسألة " صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظــرا لتعدد تعريفاتها والتى تتأثر أساســا بانحيــازات البــاحثين الايديولوجيــة واتجاهاتهم ايزاء العولمة رفضا وقبولا"[١٧]. يبدو مــن الواضـــح إذن أن العولمة لازالت فى طور التشكل ، الأمر الــذى يجعــل مــسألة وضـــع تعريف جامع مانع لها كظاهرة مسألة ليست فى الامكان.

وانطلاقا من التصورات السابقة يرصد عبد الخالق عبد الله نوعا مــن التلازم بين العولمة والحداثة " بمعنى أن العولمة امتداد شــرعى للحداثــة وتجاوز لها فى الوقت نفسه، أى أنها أقرب إلى ما بعد الحداثة منها إلــى الحداثة . والفارق الواضح البين هو أن الحداثة بقدر ما تظهر على أنهــا ظاهرة أوربية ، فإن العولمة هى ظاهرة أمريكية فــى المقــام الأول"[١٨]، وهــذا يعنى أن هناك تجاوزاً وتطوراً لمفهوم العولمة التى ارتبطت بنمط انتاجى أكثر توسعا وانتشاراً من مفهوم الحداثة الــذى التــصق تاريخيــا بالرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية فى النصف الثانى من القرن العشرين. ومن ثم فإن نظرية مابعد الحداثة هى النظرية الوحيدة التى نظرت للعولمة من بعدها الحقيقى فهى نظرت إليها باعتبارها أحد المفــاهيم أو المــداخل لدراسة العلاقات الدولية أو لدراسة الظواهر الدولية بصفة عامة.[١٩]

لقد تعددت نظرات المفكرين العرب إلى ظـاهرة العولمـة ، وسـجل هـذا التعدد رؤى مختلفة منها الإيجابية ومنها السلبية ، وأبرز ما يمكـن أن نلمحه فى تصورات الكتاب اعتبارهم العولمة " خطوة نوعية جديدة فى تقدم المجتمع البشرى "[٢٠] ،وتعبر عن حقيقة البـشرية مـن تقـدم مـادى ومعنوى فى القرون الأربعة السابقة ، فما أنجـزه العلـم الحـديث منـذ فرنسيس بيكون وحتى اليوم لعب دوراً هاماً وبالغ الأثـر فـى التكـوين والتأسيس المعرفى لظاهرة العولمة بحيث أضـحت " العولمـة والثـورة العلمية والتكنولوجية هما وجهان لاينفصلان لعملة واحدة ولسياق تاريخى وحضارى واحد . فالعولمة كالثورة العلمية والتكنولوجية تشير إلـى كـل النظريات التى من شأنها ربط العالم وتوحيده ، وبالتالى إلغاء فكرة المكان ومفهوم الزمان"[٢١]. على حين أن الأستاذ السيد ياسين ينظر إلى العولمـة على أنها " ليست محض مفهوم مجرد ، فهـى عمليـة مـستمرة يمكـن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال . وهناك اجماع من المراقبين للحياة الدوليـة علـى أن العمليات السياسية والأحداث والأنشطة فى عالم اليوم لها بعد كونى دولى متزايد "[٢٢] .

ومع كل هـذا فإن العولمة ذات أبعاد متعددة ، وهى من حيـث هـى ظاهرة تاريخية جديدة ذات اتجاهات متعددة ، وهـى مازالـت فـى دور التشكل وعدم الاستقرار.

وإذا قرأنا صفحة التاريخ الحديث سنجد أن العولمة كظاهرة ارتبطت تاريخيا بمراحل تطور المجتمع الرأسمالي العالمي ، وما يشكله مـن وزن

نوعى تحقق ابتداء من الثورة الصناعية التى شهدتها أوروبا والمجتمع الغربي بصورة أساسية، والنظام السياسي الغربي الذي ارتبط بالرأسمالية، خاصة الديمقراطية الليبرالية وما شكلته من معنى بالنسبة للغرب.

ومن الواضح أن الغرب الرأسمالي الحديث لم يقدم مفهوم العولمة كدفعة أولى للعالم من خلال نظامه الديمقراطي، وإنما جاءت العولمة نتيجة لمفاهيم أخرى طورها الغرب فيما عرف بالحداثة أو ما بعد الحداثة، أو العالمية، أو حتى ما عرف فى إطار الفكر الغربي بالتفكيكية. ومع هذا لا يتحرج بعض الكتاب من استخدام مصطلح الأمركة باعتباره يدل ، وبصورة فاعلة، على شدة أو قوة التصور العالمي واتجاهه فى الوقت نفسه (من أمريكا إلى العالم). وفى هذا الإطار تعتبر أمريكا – التى اكتشفت منذ خمسة قرون (١٤٩٢)، وهو نفس العام الذى سقطت فيه الأندلس – هى المركز الفاعل الذى تخرج منه السهام فى كل الاتجاهات، وفى الوقت الذى تريد. وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال المحورى لهذا السياق " هل العولمة هى أمركة فقط أم أن هناك عولمة أمريكية وعولمة أوروبية ، أوربه فى المقابل "[٢٣] ، وتكمن محاولات الاجابة فى أنها " بشكلها الراهن وقواعدها المعاصرة ، مشروع أمريك صرف .. وتكمن أركان هذا المشروع على سبيل المثال لا الحصر فى السيطرة على الموارد البترولية فى العالم ، وفى الهيمنة على حقوق براءات الاختراع والملكية الفكرية وفى التحكم بوسائل الاتصالات الدولية ، وفى احتكار انتاج البذور الزراعية المعدلة جينيا ، باعتبار أن احتكارها يمكن الولايات المتحدة الأمريكية من السيطرة على انتاج المواد الغذائية

فى العالم أجمع "[٢٤] ومن هذا التصور ينتقل بعض الكتاب إلى الحديث عن الكوكبة باعتبارها المرحلة التالية بعد العولمة.

وربما كان من الواجب أن ننظر فى التصور الـذى يؤسس علاقة بين العولمة والإقتصاد ، لأهمية هـذا الجانب فى إلقاء الضوء على الظـاهرة ككل . لقد كانت الأزمة التى عاشها الغرب فى الثلث الأول مـن القـرن العشرين هى المؤشر الأول الـذى أدى تنبه الغـرب لـضرورة إدخـال تعديلات جـذرية على الانتاج فى النظام الرأسمالى بحيث يمكن تأسـيس أبعاد جديدة تؤهل النظام الرأسمالى فى حد ذاته لمواجهة صراعات القرن. إلى جانب هـذا فقد تنبه مفكرى الغرب إلى أن الحربين العالميتين الأولى والثانية تمثلان وجها من أوجه الصراع الدولى بين الدول الكبـرى علـى تقسيم العالم من جهة ، واعادة تنظيم العلاقات الدولية من جهة أخرى بمـا يتفق والمصالح الإقتصادية للدول الكبرى .

وفى بداية الأربعينيات من القرن العشرين أدخلت تعديلات متعددة على أساليب وطرق النظام الرأسمالى ، إن فى الخطط أو البرامج ، ممـا أدى إلى مزيد من السيطرة على الـسوق العـالمى وتفعيـل نتـائج الثـورة التكنولوجية التى بدأت تبدو للعالم كمارد جبار جديد . ومن هـذا المنطلق ظهرت المنظمات الدولية مثل صندوق النقـد الـدولى، والبنـك الـدولى وغيرها وصولا إلى منظمة التجارة العالمية (الجات) ، كل هـذا بهـدف خلق وايجاد جسور للتبادل التجارى الدولى وفق رؤية الاقتـصاد الحـر الـذى يسقط الحواجز الجمركية ، مما أحدث تغييرا جـذريا فى العلاقات الدولية . وقد انعكس هـذا على القدرة التنافسية بين الدول التى اختلفـت

فى نهاية القرن عن بدايته . وفى هــذا الإطار أصبح الاقتصاد وأســواق المال العالمية قوة ضاغطة على القرار السياسى، إذ أصبحت سلطة السوق هى الكلمة العليا ومن ورائها السلطة السياسية فى بلدان العالم الثالث .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل ما الــذى يعنيه مفهوم العولمة الاقتصادية ؟ وما هى مفرداته؟

إن هــذا المفهوم يشير إلى السياسات الاقتصادية المترتبة بعضها على بعض والتى تريد بالدرجة الأولى توحيد الــسوق العــالمى تحــت إمــرة الليبرالية الجديدة من خلال القوانين التى تحكم العلاقة بين القوى المختلفة الداخلة فى إطار هــذا السوق، ومن هــذا المنطلق يؤكد بعض المفكــرين العرب أن "الرأسمالية بلغت طور الحضور الكــونى"[٢٥] ، لأنهــا الأكثــر اكتمالا على أرض الواقع . ومن هــذا المنطلق يمكن أن نتبــين بعــض سمات أساسية للعولمة الإقتصادية والتى من بين أهمها :

١- أنها نظام اقتصادى واحد على مستوى العالم ، يخضع لأسس واحــدة وتديرة الشركات عابرة القارات .

٢- أنها تمثل أسواق عالمية تجارية ومالية خارجة عن سيطرة الدول مــع حرية كاملة لحركة رؤوس الأموال والتى تهدف فى نهايــة الأمــر إلــى تحويل الأفراد إلى مجرد سلع استهلاكية ، بحيث وصفها بعــض الكتــاب بأنها سياسة " استعمار السوق"[٢٦]. ذلك لأن مظاهر الاستعمار إنما تكــون من خلال ادراك مجموعة عوامل منها مشكلة الديون الخارجية التى يعانى منها كثير من البلدان ، فضلا عن الظاهرة المفجعة والمتمثلة فــى هــرب رؤوس الاموال من الجنوب إلى الشمال ، وتقزيم دور عدد كبير من بلدان

العالم فى منظمة التجارة العالمية . إن العولمة الإقتصادية بتعبيـر آخـر "تهدف إلى إعادة إنتاج قبيلة كوكبية من المستهلكين "[٢٧].

٣- أن العولمة بالمعنى السابق هى فى "حقيقتها ذروة مـن ذرى تطـور النظام الرأسمالى "... "إنها عملية تاريخية غير قابلة للارتداد"[٢٨]. وفق هذه التصورات العربية ، يمكن لنا الكشف عن رؤية النخبة العربيـة لظـاهرة العولمة ، وتتمثل فى السمات التالية:

١-جاءت الرؤية العربية للظاهرة معارضة ومتشككة فيها إلى حد بعيـد ، ومصدر هذه الريبة يأتى من نتائجها السيئة على العالم العربى ، لاسـيما وأنها " لا تتم إلا بشروط أربعة تتحملها جميعا الدولة القومية وهى :

أ-التضحية بالسيادة السياسية أى بالحق فى ادارة الشؤون الخاصة .

ب- التضحية بالسيادة القانونية أى بالحق فى سن القوانين والتشريعات.

ج- التضحية بالهوية الثقافية أى بوجود حس جماعى مشترك .

د- التضحية بالسيادة الاقتصادية أى بالحق فى اختيـار شـكل النظـام الاقتصادى والشركاء التجاريين"[٢٩]

٢- تأسست الرؤية العربية للعولمة على ضـرورة تـدعيم دور الـدولى وترسيخ قيمها السياسية ومرتكزاتها الثقافية فى مواجهة " نظام العمل على افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ، ويدفع إلى التفتيـت والتـشتيت ، ليربط الناس فى بعالم اللا-وطن واللا-أمة واللا-دولة ، أو يفـرقهم فـى أتون الحرب الأهلية."[٣٠]

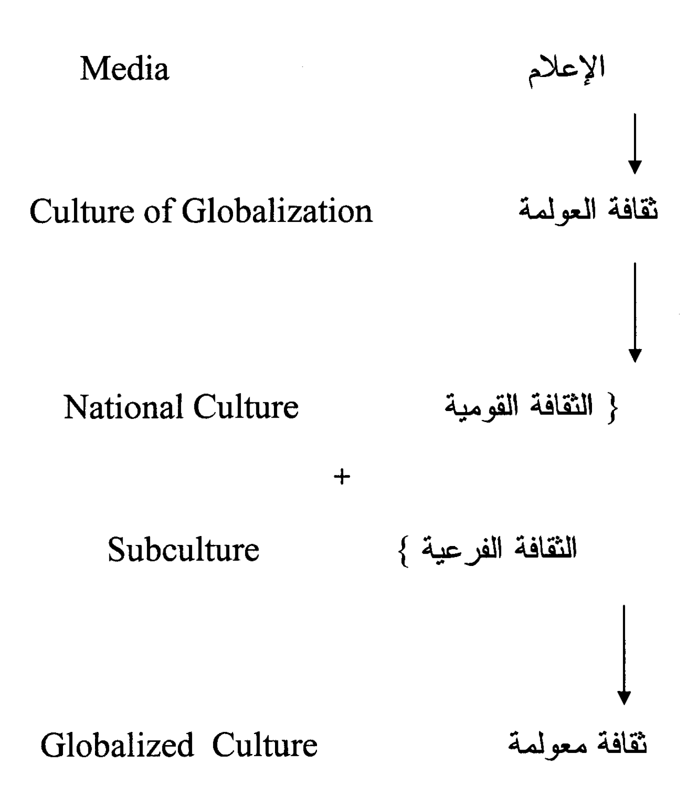
٤- نظرة الثقافة القومية إلى ثقافة العولمة

ولكن ماهى نظرة الثقافة القومية لثقافة العولمة معرفيا ؟

لاشك أن ثقافة العولمة سوف تشكل وافداً بالنسبة للثقافة القومية ، كما سوف تشكل تحديا للثقافة القومية والثقافات الفرعية . وهذا الوافد فى صورته بالنسبة للثقافة القومية أو الفرعية يعتبر مغايراً من الناحية المعرفية ؛ لأنه يعرض أشكالاً وصوراً من المعارف والتقاليد والعادات (والموضات أيضا) مغايرة لما هو مألوف فى إطار الثقافة القومية أو الثقافة الفرعية .وهذا الوافد الجديد يعتبر ثقافة تعمل على " انتشار للقيم الغربية أو الأمريكية " الجينز ، الوجبات السريعة- إلى غير ذلك " واستخدام الاعلام ووسائله وشبكة الاتصال فى الترويج لهذه القيم الاستهلاكية."[٣١] ويترتب على هذه النظرة أن الثقافة الأصلية/ القومية ، وثقافاتها الفرعية ، سوف ترى أن هذا الوافد يشكل اعتداءً صارخا على خصوصيتها وعلى قيم المجتمع واتجاهاته ، كما سوف تشكل اعتداءً على كبرياء الذات وكرامتها . ومن ثم ينظر إليها من وجهة النظر الإبستمولوجية على إنها ثقافة مضادة[٣٢] *Contra Culture* ومن ثم تشكل اعتداءً صريحا ومباشراً على التعددية الثقافية.[٣٣]

وجدير بنا الإشارة أيضا إلى أن الثقافة القومية وثقافاتها الفرعية الموجودة داخل المجتمع تتميزان بالتجانس والاستقلال، وهذا التجانس من العوامل التى تعمل على وحدة المجتمع وتجانسه لوجود روابط قوية بين الثقافة القومية والثقافات الفرعية داخل المجتمع، وأن الثقافة الفرعية " هى نمط من السلوك تتميز به الجماعات الخاصة التى تعيش داخل المجتمع

الأكبر ، وقد يختلف سلوك أفراد تلك الجماعات عن سلوك أفراد المجتمع الكلى ، ولكن فى نفس الوقت تتضمن ثقافتهم الفرعية على عناصر تشترك فيها مع الثقافة الكلية كما تحتفظ لنفسها بعناصر أخرى من غيرها من الثقافات "[٣٤]. لكن سوف تختلف عن هذا فى إطار الثقافة القومية المعولمة *National Globalized Culture* التي سوف يتم تشكلها معرفيا فى رحم ثقافة العولمة ؛ إذ أن الثقافة القومية وثقافاتها الفرعية ستفقدان ما تتمتعان به من تجانس واستقلال، لتصبح خليطا متنوعا من الثقافات.



ولاشك أن من بين التأثيرات المترامية التى سوف تحدث نتيجة لتحول الثقافة القومية تدريجيا إلى ثقافة معولمة Globalized Culture بروز " الأنا العولمى" Globalized I – فى مقابل " الأنا القومى" National I – بصورة شديدة لعولمة " الأنا القومى" ابستمولوجيا وثقافيا ولتحويل ثقافته إلى ثقافة معولمة وفق شروط الميديا. وهذا ما جعل ميد C.H. Mead يميز بين انا I كضمير وأنا Me كذاتى ، فأنا I كضمير هى استجابة ورد

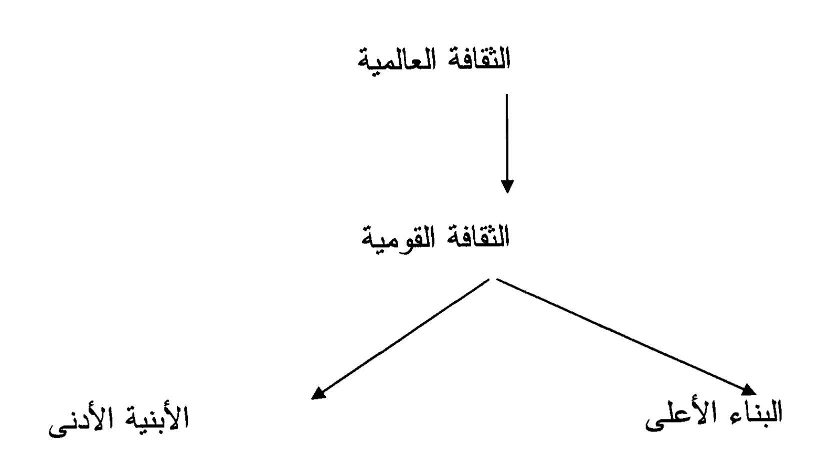
فعل الفرد بالنسبة لاتجاهات الآخرين . وأنـــا Me كـــذاتى هـــى تنظـــيم مجموعة من اتجاهات الآخرين التى تشكل بناء الذات. "[٣٥] إن هذا التمييز يؤكد على تقابل وجهى الذات " الأنا" . فالأول متعلق بـــامتلاك المعرفـــة والثقافة والتصورات الخاصة بهما ، والثانى يرتبط بالقدرة على ادراك تلك المفاهيم بعيداً عن الاغراق أو التأثير الكلى للآخـــر . ومعنـــى هـــذا " أن الذات تنشأ فى مضمون أو محتوى متنوع من الخبرات الاجتماعية المعقدة جداً الحافلة بجوانب وأدوار تشير إلى علاقات اجتماعية معينـــة ولاتـــشير لأخرى ، وهذا هو سبب امكانية الحديث عن تنـــوع الـــذوات." [٣٦] هـــذه الشروط التى توافق توجهات العولمة ؛ إذ أن ثقافة العولمة التـــى أحـــدثت بتأثيراتها المترامية " ثقافـــة قوميـــة معولمـــة" National Globalized Culture ، تهدف إلى إحداث قطيعة مع الموروث الثقافى داخل الثقافـــات القومية عن طريق عولمة معطيات هذا المـــوروث . والمعنـــى هنـــا أن الموروث الثقافى العقائدى والدينى على وجه الخصوص يـــشكل بالنـــسبة لثقافة العولمة أسطورة Myth أو "خرافة" Legend ، لابد من الـــتخلص منه تدريجيا . وهذا يعنى أن تتأثر الهوية الذاتيـــة للمجتمعـــات العربيـــة والاسلامية ، على سبيل المثال ، بهذه الحركة ؛ لأن ثقافة العولمة ســـوف تعمل على احلال الدين الطبيعى مكان الدين العقائدى السماوى ، مما يؤدى إلى فكرة التخلص من الأديان تدريجيا .

وربما كان من الضروري أن نلاحظ فى هذا السياق أن هذه المسألة تمتـــد جذورها في التاريخ لتصل إلي ديفيد هيـــوم (القـــرن الـــسابع عـــشر) الفيلسوف الانجليزى المشهور الذى قنن معياراً معرفيا لصحة الأفكار التى

نقبلها والمتمثل فى ضرورة وجود المعطى الحسى ، أو الانطباع الحسي الخارجي الذى يقابلها. وامتد هذا التيار إلى حلقة فيينا فى طورها الأول عند موريس شليك فى الربع الأول من القرن العشرين، ثم فى طورها الثاني حين عرفت بحركة الوضعية المنطقية التي استبعدت كل ما يمكن أن يقع ضمن دائرة الميتافيزيقا، ولم تعترف الإ بالمعطى الحسي والخبرة[٣٧].

ويترتب على هذا التصور أن يتحرر " الأنا القومى المعولم" National Golobalized I من كافة الالتزامات والقيود التى كانت تشكل رؤيته فى الاطار القومى/ المحلى ، حتى لو كان هذا التحرر ضد ثقافته القومية التى سوف يرى بالضرورة ، وفق معطيات الميديا المعولمة ، أنها غير قادرة على مسايرة العصر أو " مواكبة الموضة لأنها تعبر عن ١ات مغلقة Closed I . هذه الذات قد أصبح بإمكانها وفق ثقافة العولمة أن تنتج داخل الثقافة المعولمة Glibalized Culture فنونا وثقافات وأفكار ضد ثقافة المجتمع ، وضد ما هو شعبى أو قومى . وهذا يدعم الرأى بأنه كلما ذكرت كلمة العولمة ترادف معها مباشرة تصور " اسقاط الحدود" . وإذا كانت هذه الحدود هى الحدود القومية ، فإن العولمة تعمل على اسقاطها وتذويبها ، بل وفتحها على مصراعيها . ومعنى هذا بلغة نظرية المعرفة أن ما يسقط هو " الذات " والأبواب تفتح على مصراعيها إنما تفتح " للآخر" . إن الفرد " يتعلم من ثقافته حدود الحق والخير والجمال ، لذلك تتحدد لديه الاتجاهات والقيم والأهداف عن طريق الثقافة "[٣٨] ، أما فى إطار العولمة فإنه سوف يتعلم قيم أخرى ، بعد سقوط الحدود ، لأنه ينتمى

لثقافة أخرى بديلة لثقافته ، وهنا سوف ينتهى صراع القوة المقاومة بـــين الثقافة المعولمة والثقافة الوطنية إلى هيمنة الأولـــى ذلـــك لأن " منيملـــك تكنولوجيا المعلومات والمعرفة أقوى من مالك الأموال والثروات. "[٣٩]



Total Culture Subculture

إن العولمة تقوم على واقع محدد وعلى محاولة لنفى هذا الواقع . ويبـــدو هذا الواقع الذى يقوم عليه فى الثنائية التى تفصح عن نفسها بـــين ثقافـــة العولمة/ الثقافة المفتوحة، والثقافة القومية/الثقافة المغلقة . وأمـــا الواقـــع الذى تحاول ثقافة العولمة نفيه فيتمثل فى اتجاها لمحاولة تغييـــر الثقافـــة القومية ونفى العلاقة بين الثقافة القومية والثقافة الشعبية فى مبدأ الأمـــر ،

بالصورة التى تؤدى إلى صهر الثقافتين القوميـــة والـــشعبية فـــى ثقافـــة العولمة.

لكن قد يقع الصراع بين الثقافتين ، وفى هذه الحالة فـــإن الـــصراع بـــين الثقافة القومية والثقافة العالمية ، أو ثقافة العولمة ، ينظر إليه معرفيا على أنه يشكل النقطة المهمة فى التحليل المعرفى للعلاقـــة الـــصراعية بـــين الثقافتين ،وهنا تتوقف سبل وأشكال الصراع على عدة عوامل من أهمها :

أ- **شكل الثقافة** : إذ أن كل الصور التطبيقية والتكنولوجية هى جـــزء هام من ثقافة المجتمعات الغربية ، ولذلك تصبح ذات أثر فعال فى التأثير على الثقافة القومية حيث أن " الجزئيات الثقافيـــة الماديـــة أسرع فى الانتشار من الأفكار والايديولوجيات"[٤٠]

ب-**درجة الضغط الثقافى** : من حيث ما تمثله ثقافـــة العولمـــة مـــن تحديات على الثقافات المحلية ، يصعب معها فى النهايـــة القـــدرة على المقاومة أو الاستمرار دون تأثير ولو نسبى .

جـــ- **كثافة الاحتكاك الثقافى**: من منظور الكم والكيـــف والتواصـــل زطبيعة المادة الثقافية المطروحة ومدى تقبل النخبة العلمية والأكاديمية والثقافية لها .

إذ الثقافة القومية التى سوف ترى فى الثقافة العالمية اعتداءً علـــى القـــيم والاتجاهات التقليدية فى المجتمع ، واعتداءً على كبرياء الذات وكرامتها ، سوف ترى أن هذا الاعتداء يشكل اختراقا للثقافة القومية أو الوطنية يعمل على "تكريس الاستتباع الحضارى"[٤١] . وفى هذه الحالـــة فـــإن الثقافـــة

القومية/ الوطنية ، سوف تصبح ثقافة فرعية Subculture لثقافة العولمة . ويترتب على ذلك أن تنضوى الثقافة القومية المتميزة بالاستقلال والتجانس ، بصفة أساسية ، تحت مقولة الثقافة العالمية التى تتميز بأنها خليط متنوع من الثقافات المختلفة المشارب.

٥- نظرة ثقافة العولمة إلى الثقافة القومية

لكن ما الذى تتضمنه الثقافة العالمية أو ثقافة العولمة معرفيا؟

إذا كانت ثقافة العولمة تحتوى معرفيا ثقافات مختلفة فإن هذا يعنى بالضرورة أن لغتها مختلفة ، وهذه اللغة تتقاطع مع لغة الثقافة القومية/ الوطنية ، وهو ما نلاحظه الآن فى لغة الشباب الذى انعكست لغة الاعلام الوافد على طريقته وأسلوبه فى الحديث مثلا ، وانتقائه ألفاظا ذات دلالة غريبة على اللغة القومية . وهذا يعنى أن المفردات الوافدة سوف تعمل من خلال لغة " الإعلام المعولم" *Globalized Media* على تفكيك اللغة الأم مما يترتب عليه تجريد اللغة القومية من قوتها وتماسكها ، وتهميش اللغة القومية بالتالى ، ذلك لأن " لسان كل أمة هو تاريخها الحيوى المتراكم فى عمق وجودها الآنى ، ولغتها بالتالى هى منطلق معارفها فى مجال ما هو ظاهرة بشرية معرفية/ وجدانية"[٤٢]. وهذا يعنى أن لغة "الاعلام المعولم" سوف تعمل فى فضاء مختلف عما نتصوره ، فمن الناحية اللغوية سوف تتجه الثقافات المختلفة المحتواه فى الثقافة العالمية إلى التوحد تلقائيا فى لغة واحدة صيغت من قبل صناع "الميديا" ، فصارت بذلك "إدارة لتصنيع الرأي العام من خلال تصنيع وغرس مقولات سابقة التجهيز بالكلمات

والصور والمعانى فى أذهان الحشود التتجمع لتصبح عقلاً جمعياً لا يفكـــر وإنما يتصرف بناء على ماتم غرسه فيه بواسطة الميديا أساساً " (ســامى خشبه ص١٠١) وهو مايعنى أن تفرض نفسها فى كافة المحافل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بالإضافة إلى الثقافة واللغة القوميـــة . –" إن الشكل الجديد لثقافة الجماهير الكوكبية هى بالتأكيـــد الثقافـــة المـــسيطرة بواسطة النفوذ الأمريكى وتكشف عن ذاتها بشكل أساس فـــى التلفزيـــون والسينما. حيث يسيطر اللهو والفراغ الأن على العالم المتـــسع بواســـطة الصورة الإلكترونية ويؤكد استيوارث هال على أن السمة الاعظم اهميـــة لهذا الشكل من الثقافة الكوكبية هو شكلها الخاص بالتجانس وقدرتها علـــى معرفة واستغراق الإختلافات الثقافية من داخل إطار عرشى أوسع الـــذى هو بشكل اساسى تصور أمريكا فى العالم " (جورج لارين ص٢٥٥).

ولكن ، هل سوف تتبادل الثقافة القومية وثقافة العولمة السمات والعناصر الخاصة بكل منهما ؟

إن هذا السؤال يدفعنا مباشرة إلى التفكير فى المواضع والمواقع بالنـــسبة للثقافتين. إذ الثقافة القومية تعبر عادة عما هـــو محـــدود ابـــستمولوجيا ، وتخضع الميديا فيها عادة لمعوقات كثيرة مثل التمويل وإنتـــاج البـــرامج وغيرها. ومن ثم فهى لايمكن أن تتجاوز سقف المسموح به داخل المجتمع إن من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية . وحد المسموح به فـــى إطار هذه الثقافة يشكل " بنية معرفية مغلقة " *closed structure* لأنها لا تستطيع التجاوز. كما أن حد المسموح به فى هذا الإطار عادة مـــايعرف "

بالخطوط الحمراء " التى يعد تجاوزها خروجا على النص. وفى مقابل هذا نجد ثقافة العولمة هى ثقافة " اللا-دولة " و " الـلا-حدود " و " ثقافة المجاوز " و "ثقافة المتعدى للخطوط الحمراء". إنها ثقافة غير مشروطة وغير محدودة ابستمولوجيا. ثقافة لا تعانى من المشكلات السياسية أو الاقتصادية أو غيرها. إنها ثقافة التمويل المفتوح التى تنتج بنية معرفية مفتوحة متحورة دوما لاتحدها تقاليد أو عادات. إنها ثقافة تفكر بمنظور التسويق إلى أبعد الحدود، وتخاطب فئة عمرية ، فى غالب الأحيان ، لم تصبح أسيرة العادات والتقاليد أو البُنى الثقافية الجامدة التى قد تعبر عنها الثقافة القومية – وهذه الفئة ،فى دول العالم الثالث، غالبا ماتعانى من البطالة، أو تدنى أجور العمل ، أو غير ذلك من المثبطات التى يتعرض لها جيل الشباب الذى سوف يكون أكثر قابلية وايحاءً للأخذ بأفكار ثقافة العولمة، على اعتبار أنه لايوجد بديل أخر[٤٣].

المشكلة إذن تتمثل فى قوة النفاذية لثقافة العولمة بصورة أكبر بحيث تتجاوز الثقافة القومية الأصلية. فكأن الثقافة القومية أكثر عرضة للتأثر بمكونات ثقافة العولمة لأنها الأقوي. وعندما تتأثر الثقافة القومية بثقافة العولمة وتنفعل بها تصبح "ثقافة معولمة" *Globalized Culture* تكرس وجوداً وحضوراً فاعلا لمقولة العولمة الثقافية ، وهذا الحضور يعنى أن الفعل السياسى والاقتصادى والثقافى واللغوى يكون اتجاهه من ثقافة الأقوى/ الثقافة العالمية/ ثقافة العولمة ، إلى ثقافة الأضعف/ الثقافة القومية/ الثقافة المحلية أو القومية أو الشعبية . وفى هذه الحالة فإن الثقافة القومية التى أصبحت "ثقافة معولمة" *Globalized Culture* سوف تقوم

بمهام العولمة الثقافية . إن هذا الحلول من الثقافة الأقــوى إلــى الثقافــة الأضعف، أو عملية الانزياح الوظيفى التى حدثت للثقافة القومية هى نتاج لعقل أوربى أداتى (كما يطلق عليه هيرماس *Habermas*) ساهم بــصورة فعاله فى تجاهل الآخر، فالعقلانية الاواتية تتميز " بالاندفاع وتجاوز حدود الاقتصاد والدولة داخل الأخر، وفى داخل مجالات الحياة المبنيــة بــشكل تواصلى تحقق العقلانية الآداتية لسيطرة هناك علــى حــساب العقلانيــة السياسية والأخلاقية ، والعقلانية العلميــة الاســتاطيقية – هــذه العمليــة لاحتكار عالم الحياة ليس الم سئول عنها فقط تقــدم العلــم فــى الأقطــار الرأسمالية المتقدمة، ولكن المسئول عنها أيضاً هو المركزيــة الاوربيــة *Western Igo centrism* " (جورج لارين ص ٢٢٧) ومن هنــا نجــد أن العقلانية الاداتية الغربية والأمريكية تأسست على " المنطق الأدتى للانتاج الراسمالى، مستعديا على الأبعــاد والاســتاطيقية والأخلاقيــة للعقلانيــة التواصلية، لذلك فمشكلة الحداثة لم تكن هى العقلنة كما أدركها فيبر ولكن نقص أو تصور التطور المتناغم للعقلانية التواصلية" (جورج لاريــن ص ٢٨٨) . ولكن ما الذى يعنية الحضور الفاعل لمقولة العولمة الثقافية؟ هذه نقطة مهمة لابد من ادراكها والوعى بها. إذ أن ثقافة العولمة تتوقــع مــن الثقافة القومية أن تعى معنى الحضور الفاعل لمعطياتها.

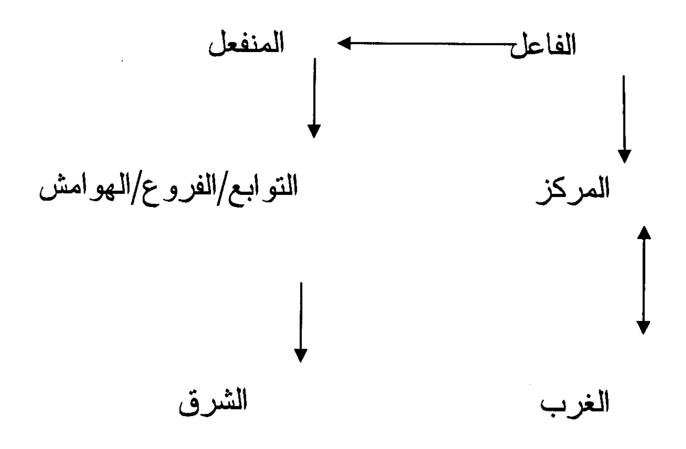
أما الفعل السياسى فى هذا الاطار فإن ثقافة الأقوى تتوقع الالتزام بمرئياته فى الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان / كما تعنى مــن وجهــة نظــر الثقافة الأقل تطبيق ديمقراطية الأقوى وتحقيق مصالحه السياسية .

وأما من حيث الفعل الاقتصادى فالكيانات الأضعف لابد وأن تعتمد علـــى سلع ومنتجات الأقوى ، وفتح الأسواق أمامه ، وتقــديم الاســتيراد علـــى التصدير ، وتقزيم مكانة المنتج الوطنى ، وربما التعامل بأوراقه المالية.

وأما من حيث الحضور اللغوى فإن هذا الحضور يعنى حضور مفــردات لغة الأقوى فى الخطاب المعرفى ولغة الحديث اليومى ، ولغـــة التــدوين ولغة المحافل الدولية .

وأما من حيث الناحية الثقافية التى باتت الهدف المباشر فيتجلى كل هذا فى استهلاك ثقافة الآخر ، والترويج لمقولاته الثقافيـــة ، والتفكيــر بطريقـــة الآخر/ الأقوى وعلى صورته / كما يصبح الأقوى/ الآخر هــو النمــوذج الذى يجب أن يحتذى / وما سواه من نماذج باهتـــه / قليلـــة الأهميـــة / هامشية (حتى ولو كانت قومية/ وطنية) .

ولما كانت ثقافة الغرب/ ثقافة العولمة تمثل ثقافة الأقوى / ولمـــا كانــت ثقافات الشرق/ الثقافة المستهدف عولمتها الآن هى الثقافة الأضعف فـــى ظل معطيات العولمة نظرا لأنها لاتمتلك الوسائل والتقنيات العاليـــة التـــى تستخدمه ميديا العولمة ، فإنه وبلغة وحدود وتصورات نظرية المعرفـــة، فإن اتجاه الحركة الفاعلة والتأثير سيكون على النحو التالى:



إن اتجاه الحركة والفعل يبين أن الحركة والتأثير فى اتجاه واحد فيما عدا التجاه من المركز إلى الغرب ، وهذه الحركة ليست عكسية ولاقابلة للإنعكاس لكون المركز ينتج التقنيات العالية التى لاتملك الفروع حق انتاجها وتداولها . وهو مايعنى أيضاً أ، عملية الاتصال بين الغرب والشرق ذات مضمون واحد ومحدد وهو إحداث اكبر قدر من تفكيك عناصر القوة والتماسك والوحدة داخل بنية المجتمع، والحقيقة أن عملية الاتصال هى جوهر ولب الثقافة، لأنه فى جوهلره " عبارة عن عملية من خلالها تنقل رسالة ماتتضمن مجموعة من الأفكار والمعانى إلى فرد أو أفراد آخرين بدرجة من الوضوح تجعل هذا الفرد أ، الأفراد يستقبلون هذه الأفكار والمعانى ويفهمونها على النحو الذى كان يقصده صاحب الرسالة " (على جلبي ص ٢٢٧).

١- إن المراقب الواعى لحالة كثير من الشعوب التى كانت قد تخلصت من الاستعمار فى القرن الماضى ، سيجد أن هذه الشعوب تعانى فى الغالب الأعم من صراعات داخلية قد تكون عرقية أو غيرها . وقد ترتب على هذا أن الدولة انشغلت بمشكلات داخلية طاحنة فى كثير من الأحيان ، ولم تعمل الدولة على تطوير بنيتها المعرفية أو ثقافتها بالصورة المواكبة للتطورات العالمية مما زاد من مشكلات الدولة ، وادي إلأى إضطرابات داخلية متعددة ساهمت بدور سلبي فى قدرتها على إنجاز تنمية شاملة، وتحقيق الحد الأدني من التوافق المجتمعي الذي يسمح بتقدم وتماسك الدولة من قدرة الأخرين على إختراقها. ومن ثم يصبح من السهولة بمكان أن تتأثر بالتيارات العالمية التى تعبر عنها العولمة . وهنا فإنه كلما قل تحكم الدولة فى محيطها الداخلى ازدادت فرصها للاندماج فى النظام العالمى.[٤٤]

١- وجدير بالذكر أن الدولة التى تنخرط فى مشكلات ونزاعات داخلية يصبح تأثيرها الثقافى فى محيطها الداخلى والخارجى على درجة كبيرة من المحدودية ، إذ " بالقدر الذى تملك فيه أى جماعة ثقافية قوة على جماعة أخرى تكون قدرتها على نشر ثقافتها وفرضها على الجماعة الأخرى"[٤٥] .

٢- " إذا كان التفاعل بين الشعوب التى تنتمى إلى ثقافات مختلفة يؤدى إلى ما بين هذه الثقافات من تماثلان فى بعض الخصائص وذلك من خلال ما يتضمن هذا التفاعل من تبادل للسمات والأنماط الثقافية ، فإن عزلة

المجتمعات بعضها عن بعض لفترات طويلة تعتبر أحد العوامل الهامة التى تفسر مابين الثقافات من تفاوت" [٤٦].

٧- **خصائص الثقافة المفتوحة**

١- عادة ما نجد ثقافة البنية المفتوحة تتبع قانون الكثافة فى الاتصال ، حيث أنه " كلما كانت وسائل الاتصال سهلة ومتوفرة كانت معدلات الانتشار الثقافي أسرع " [٤٧] ، **وكلما كان التأثير الانتشارى فعالا .**

٣- التجديد ، أى إعادة تشكيل عادات المجتمع

٤- أن حرية تدفق المعلومات تعنى بالضرورة إزالة كل العوائق فى وجه حرية تدفق الأخبار والأفكار السياسية والاجتماعية والفنية والثقافية [٤٨]

٥- أن وسائل الاتصال التكنولوجي جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية ، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية ، وإضعاف مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد [٤٩] من أهم خصائص العولمة الثقافية.

٦- أن ميديا العولمة الثقافية تتميز بأمرين هما : الأول ، ما يمكن أن تؤدى إليه من تنوير وتثقيف وتعميق للوعى بالمتغيرات العالمية . والثانى ، اتجاهها بفاعلية إلى محاولة محو شخصية الشعوب الأخرى ومسخ كياناتها القومية [٥٠]

٧- إن "مجتمع المعلومات مجتمع متغير وسريع التحول ووحداته متشابكة ومتصلة الواحدة بالأخرى أكثر من أى فترة مضت[٥١] ، وهو ما يجعله كبنية معرفية مؤثراً بدرجة كبيرة فى المحيط الثقافى .

١٠-أن "مجتمع المعلومات والمعرفة هو مجتمع الخدمات والابتكار والبرمجة"[٥٢] ، وماذا يريد بعض من تعرضوا للضغط الثقافى غير ذلك .

١١-وتحدث العولمة " تغيرات فى الأفكار والثقافات والتصورات وغيرها"[٥٣]

١٢-إن التطورات التكنولوجية سوف تعطى " للعولمة ديناميكية الحركة والانتشار وتخطى الحدود الوطنية والتفاعل مع سلسلة التغيرات التى تذيب الحدود والهوية " [٥٤]

١٣-بدلا من الحدود الثقافية القومية "تطرح إيديولوجيا العولمة(حدودا) أخرى غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسياسة" [٥٥]

١٤-الاختراق الثقافى بستهدف " سلب الوعى ، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية " [٥٦] ، وتذويب الفوارق الثقافية تدريجياً .

١٥-فى زمن الاختراق الثقافى فوسيلة السيطرة على الإدراك هى الصورة السمعية البصرية التى تسعى إلى تسطيح الوعى [٥٧]

١٦-" إيديولوجيا الاختراق ..... هى إيديولوجيا تضرب فى الصميم الهوية الثقافية بمستوياتها الثلاثة الفردية والجمعوية والوطنية القومية "[٥٨]

١٧-أن العولمة " نظام يريد رفع الحواجز والحدود أمام الشبكات والمؤسسات والشركات المتعددة الجنسية ، وبالتالى إذابة الدول الوطنية وجعل دورها يقتصر على القيام بدور الدركى لشبكات الهيمنة العالمية "[٥٩]

٧- ثقافة العولمة والشخصية القومية

إذا كانت العولمة تشكل بعدا انتشاريا بالدرجة الأولى، وهيمنة من جانب طرف معين على بقية الأطراف وإخضاع الأطراف لارادة الأقوى، فإن الهيمنة والإخضاع يتمان من خلال قنوات محددة ، وتصورات معينة يقننها الطرف الأقوى لتسود حياة بقية الأطراف. ومادمنا نتحدث عن تصورات ومحددات، فإننا نصبح فى مجال العقل بصورة فاعلة، وهذا المجال يتشكل من خلال البعد الثقافي بصورة جذرية تلعب دوراً حيوياً فى التأثير والسيطرة على بقية الأبعاد. ومن هذا المنطلق تصبح الثقافة (من وجهة نظرنا) العنصر الفاعل والرئيسي فى تشكل منظومة العولمة. وهنا يمكن تسجيل موقفين أساسيين فى إطار فكرة العولمة الثقافية وهما : الأول: وهو النظر إلى العولمة الثقافية على إنها تعنى انتقال تركيز واهتمام ووعى الإنسان من المجال المحلى والإقليمى إلى المجال الأكبر والأوسع ، أى المجال العالمى ، أى من المحيط الداخلى إلى المحيط الخارجى الأوسع والأرحب ، وهذا فى حد ذاته يعنى بالنسبة للإنسان الوعى بعالمية العالم، وما تتصف به صفة المواطنة أصلا وهو صفة العالمية . وهذا يعنى أن ينتقل مركز ثقل الولاء من المحلية والوطنية ، أى من الوطن الأم ، إلى العالمية، وعندئذ يحدث نوعا من التحول التلقائى من المشكلات المحلية والوطنية إلى المشكلات العالمية مثل مشكلة الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل ، ومشكلات المياه ، ومستقبل الحدود ، وحقوق الإنسان . إن هذه الوجهة من النظر تحاول أن تجعل من العولمة الثقافية نوعا من الوعى بعالمية العالم . وفى هذا الصدد يرى

بعض المفكرين العرب[60] أن الثقافة هى مجموعة الأفكار والقيم والمفاهيم والقناعات التى تحمل فى جوهرها بـذور العولمة بمعنى الانتشار الحـر دون قيد ، فالديانات السماوية والايديولوجيات لها سمة عالمية وذات توجه عالمى ، وتأسيسا على هـذا فإن كل ثقافة تحمل بعـدا زمانيـا وامتـداداً جغرافيا ، ينتج عنها إحداث قدر من التفاعل والتلاقح بين الثقافـات ممـا يؤدى بالضرورة إلى انتاج قيم جديدة تعلى من إنسانية الإنسان .

واتساقا مع هـذا فإن الثقافة تهدف إلى " تطوير نسق ثقـافى عـالمى واحد موحد، ينطوى على منظومة مـن القـيم والمعـايير والمـدركات المشتركة ، متخطيا بـذلك الحدود الوطنية والقوميـة للأمـم والـشعوب والمجتمعات ، بما يساعد على ضبط السلوك الدولى العـام "[61]. وهـذا يشير إلى أن الثقافة لايشترط أن تكون مكتوبة ، إذ ليس الكتاب من أهـم أدواتها الوظيفية ووسائل انتشارها، إنما هى ثقافة مابعـد المكتـوب ، أى ثقافة المسموع والمرئى ، وهـذا هو ما يرشحها للرواج والانتشار بسرعة تتجاوز حدود الخيال لتتخطى كل الحواجز والحدود الجغرافية .

ومن جانب آخر يقرر أنصار هـذا الاتجاه من المفكـرين العـرب أن العولمة الثقافية هى " مجموع ثقافات ذات سمة وملامح متقاربة تتجه نحو رؤية موحدة للكون ، تسعى إلى إلغاء الفوارق ، وتعلى مـن التـشابهات والتماثلات التى تدعم وجود مسار بشرى واحد للتاريخ رغـم الجزئيـات التى تتناقض مع زيادة التعايش والتفاعل والتعاون "[62].

هـذا عن الموقف الأول من العولمة الثقافية ، والـذى سوف نلاحـظ أبعاده بصورة أكبر حين نتناول هـذه النقطة بصورة نقدية فيمـا بعـد .

ولكن دعنا الآن نقترب من ملامح الموقف الثانى لتكتمل معــالم الــصورة لدينا ولنحافظ على الخيوط بأيدينا .

أما الأمر الثانى فيتمثل فى أن جموعا كبيرة مــن المفكــرين العــرب يشكلون موقفا رافضا من العولمة الثقافية وينظرون إليها على إنها ثقافــة الاستقطاب وتهميش الهويات والتنوع الحضارى ، والهيمنة التى يفرضها " التفاوت الانتاجى والعسكرى والعلمى والتكنولوجى بين البلدان الرأســمالية نفسها فى إطار نمط الانتاج الرأسمالى السائد"[٦٣]، الأمر الـــذى يــؤدى بالضرورة " إلى وقوع الدول الأخرى فى أسر التبعية عن طريق إفــراغ الهوية الوطنية من محتواها وفقدانها أدوات إتصالها وســيطرتها وقوتهــا نتيجة الصراع مع الثقافة الغازية المدعومة بأحدث التقنيــات "[٦٤]، وهنــا تصبح الدعوة إلى عولمة الثقافة بمثابة مفهوم يعبر عن توجه ايــديولوجى يعكس إرادة مركزية الاستقطاب والهيمنة على العالم من خلال الدعوة إلى نموذج حضارى محدد ، وإرساء دعامات هــذا النموذج من خلال آليــات الساسة والاقتصاد والثقافة .

إذن تشكل الثقافة نقطة مهمة على خريطة العولمــة كظــاهرة جــديرة بالبحث والدراسة، وتأتى هــذه الأهمية بصورة مباشرة من اعتبار الثقافة تعبر عن الجوانب القيمية والسلوكية وغيرها لدى الشعوب ، فهــى تعبــر عن الهوية والبعد الحضارى للشعب. إن هــذا التصور فى حد ذاته يجعل البعد الثقافى للعولمة محل جدل ونقاش بصفة مستمرة .

فى رأينا إذن أن الثقافة تعد عاملا مهما لــه تــأثيره علــى الكيانــات والهويات، إذ الثقافة تشكل شبكه العلاقات المتنامية داخل الأمة، أو الوطن،

التى يمكن أن تتسع زمانا ومكانا نتيجة للاستقرار الاجتماعى. أو كما يذكر تايلور *Tylor* أنها " ذلك الكل المركب الذى يحتوي علي المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعادات والتقاليد ". *Tylor : Primitive culture,....1924, p1*

وفى إطار الجماعات فإن الثقافة ، وما تشكله من بعد قومي إستراتيجي فى حياة واستمرار أية أمة ، تقوم بعملية دمج بين الجماعات المتباعدة داخل الأمة، عن طريق توثيق الروابط الاجتماعية التى تستند إلى توسيع التبادل بين الأفراد أو الجماعات داخل المجتمع. فكأن الثقافة بهذه الصورة تكمن فى قيام عرى التواصل الداخلي بين عناصر المجتمع من خلال عملية التوحيد الذاتي، مادامت الجماعة تحافظ فى الأصل على وحدتها السياسية والاقتصادية.

وهنا تبدو لنا العلاقة الوثيقة بين الثقافة باعتبارها البناء الأعلى من جهة، والسياسة والاقتصاد باعتبارهما البنى التحتية من جهة أخرى، من حيث الحفاظ على وحدة المجتمع وضمان استمراريته. وبطبيعة الحال فإن ضرب البنى التحتية سوف يؤثر سلبا على الثقافة كحافظ لاستمرارية المجتمع ذاته مما يؤدى إلى انهيار الثقافة المجتمعية ذاتها ونفاذ الثقافة الأعلى.

وتستوقفنا فى هذا الإطار إشكالية انهيار الثقافة المجتمعية التى جرى العرف على تسميتها فى ضوء ثقافة العولمة، بالثقافة المحلية، أو القومية. كيف يحدث هذا الانهيار؟

أن الوضع فى إطار ثقافة العولمة يبين لنا التحدي الذى ينشأ بين ذات قومية لها خصوصيتها وتفردها، وذات خارجية هى ما نطلق عليه الآخر. وهذا التحدي يقوم أساسا على فعل الاختراق من جانب الآخر (الأقوى) للذات القومية . وهذا الاختراق يتخذ شكل الغزو الذى يعمل أولا على ضرب البنى التحتية (الاقتصاد والسياسة) وتفعيل آليات دمجها فى نظامه الاقتصادي باعتباره الأعلى والأقوى، وباعتباره يقدم المنح ، ويقنن الديون ويجدولها ، ويفرض أنماطا اقتصادية معينة دون غيرها.

ومنذ اللحظة التى يحاول فيها الآخر (الأقوى – الغازي – المخترق) بسط سيطرته على النظام الاقتصادي، يبدأ مباشرة فى تفعيل آليات تحطيم قنوات الاتصال داخل المجتمع ، تلك القنوات التى تشكل شبكة التواصل الاجتماعى . ويتأتى هذا التحطيم عن طريق استبدال هذه الشبكة بأخرى تتلاءم مع أغراضه فى السيطرة والترويج لنظامه.

ويبدو أن فكرة ضرب ، أو القضاء على ، شبكة التواصل الاجتماعى، تأخذنا إلى قلب مشكلة الانهيار الثقافي ذاته، لأن هذه العملية لابد من التمهيد لها بضرب الرموز الثقافية الأصيلة للجماعة، وهذه الرموز تبلور لنا بصورة إيجابية أدوات تواصل الجماعة اجتماعيا وتاريخيا وجغرافيا ، مما يضفي الوحدة والقوة على تماسكها واستمرارها كجماعة متمايزة.

وتبدأ أولى مراحل عملية ضرب شبكة التواصل الاجتماعى خلال عمليتين رئيسيتين هما:

الأولى وتتمثل فى تفكيك اللغة القومية ومحاولة ثقافة الهيمنة فرض لغة الآخر إن فى الإدارة أو فى قنوات وسائل الإعلام أو فى التربية والتعليم

أو فى المكاتبات الرسمية. ومن الملاحظ أنه إذا ضربت اللغة وقطعت أوصالها ضعفت وتوقف تطورها وتوارت، فتحتل الدرجة الثانية أو الثالثة.

ولاشك أن بنية المجتمع، وتجديد مكوناتها، ترتبط باللغة القومية، فإذا توارت اللغة توقفت مجالات التطوير والإبداع وأثر هذا بصورة مباشرة على بنية الثقافة الأصلية.

ويهمنا بصورة مباشرة هنا أن نلفت الأنظار إلى كيفية تفعيل ثقافة العولمة من خلال وسائل الإعلام. إذ من الواضح أن الإعلام أصبح له من الفاعلية والانتشار مالم يكن يتوقعه أحد قبل ربع قرن مضى، وتقنيات الإعلام تزداد تقدما يوما بعد آخر، ومنتجات الإعلام المرئى على وجه الخصوص القادم من خلال التوجهات الثقافية للطرف الأقوى (المنتج للبرامج سواء أكانت فى شكل دعاية،أو مسلسلات، أو أفلام أو غيرها) تؤثر سلبا على الثقافة الأقل المستهلكة لمنتجات التكنولوجيا، فى اتجاه تبديل القيم وتغييرها، وربما فى القضاء عليها مطلقا مما يشكل بعدا خطيرا فى منحى تطور المجتمع وتحولاته، ويدفعه قسرا على الدخول فى منظومة العولمة على الصورة التى يرتضيها ويحددها الطرف الأقوى. وهنا تتشكل العملية الثانية التى تتمثل فى البناء القيمى للمجتمع وما يلعبه من دور حيوى فى هيمنة ثقافة العولمة على الثقافة القومية.

والذى لاشك فيه عندنا أن المحاولات المقننة من جانب ثقافة الهيمنة التى تعمد إلى اختراق، أو ضرب الثقافة القومية تصيب الأمة مباشرة فى كيانها الوجدانى المتمثل ، كما أشرنا، فى منظومة القيم التى تعمل على

توحيد عناصر الأمة ودمجها، وتشير فى الوقت نفسه إلى ديمومة واستمرار الأمة فى الزمان والمكان.

وقد صدرت فى الثقافة العربية المعاصرة دعوات متواصلة (على امتداد الثلث الأخير من القرن الماضى، خاصة بعد هزيمة ١٩٦٧) تنادى بضرورة تحديث المجتمع العربي فى ضوء التيارات الفكرية التى تتفاعل فى الفكر الغربى. وبعض هذه الدعوات اتخذت شكل اقتراح المشاريع الجديدة، وبعضها الآخر اتخذ الخطاب العربى المعاصر عنوانا لصورة الدمج المرجوة فى إطار التطورات الفكرية الغربية، وصبت هذه المحاولات فى تيار الاستغراب (على غرار الاستشراق) الذى أراد للذات القومية أن تفهم درس الذات الغربية منذ نشأتها، قبل أن تحاول الإصلاح. وفئة أخرى وجدت أن التجديد إنما يكون من خلال أفكار الحداثة ومابعد الحداثة، أو حتى العقلانية على النمط الغربي الذى يوظف المفاهيم.

والغريب أن هذه التيارات جميعا فى رؤيتها تنميط المجتمع العربى على غرار المجتمع الأوروبي لم تتبين أن مثل هذه الأفكار والتيارات العقلية تقتضي إعادة ترتيب منظومة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العربى ذاته.

وإذا نظرنا لكل هذه التيارات من خلال منظومة فكرية متكاملة لوجدنا أن تبنى قيم الحداثة أو مابعد الحداثة ، أو غيرها، تؤدى ضرورة إلى تبنى منظومة قيم ثقافية جديدة، وهذه الأخيرة بدورها لابد وأن تبنى منظومة أخرى من طرق التربية الجديدة، مما يعنى العصف بكل طرقنا التربوية،

وإحلال الطرق الغربية المستمدة من منظومة ثقافة الهيمنة مكانها، الأمـــر الذى يؤثر سلبا على سلوك الأجيال، فتتسع الفجوة بين الأجيـــال وتـــزداد الشقة بينها، مما يؤدى فى نهاية **الأمر إلى أن يتواري الأصـــيل ويـــسود الدخيل.** " ولعل اخطر النتائج المترتبة على العولمة – بـــاعتراف معظـــم الباحثين – تلك المتصلة بمخاطر الإقتلاع الثقافي والخـــوف مـــن فقـــدان الهوية لدي العديد من الشعوب والإمم والفئات الإجتماعيـــة التـــى تـــزداد هامشيتها وضياعها وتخضع لمخاطر الحروب الأهلية الكامنة والمتفجـــرة فى أى مكان فى العالم ".(د.كريم ابو حلاوة ص ١٧٩/١٨٠).

وربما يظهر أمامنا فى هذا الصدد ، وفى ضوء رؤيتنا السؤال الآتي: ما هو مصير الشخصية القومية ؟ وكيف يمكن بناء هذه الشخصية أصـــلا فى ظل اتصال الأمة بثقافة الهيمنة، أو بالعولمة ؟ وما علاقـــة كـــل هـــذا بمنظومة بناء العقول فى إطار مستجدات ومتغيرات تحدث بصفة مستمرة فى العالم من حولنا ؟

لا ريب أن هذا السؤال يفتح أمامنا الأبواب للكشف عـــن التناقـــضات التى يمكن أن تنشا بين الثقافة القومية (ثقافة الذات) وثقافة الهيمنة (ثقافة الآخر – الأقوى) التى تبث ليل نهار من خلال وسائل الإعلام (المتمثلـــة فى الدش أو الانترنت مثلا) مما يترك تأثيراته المتراميـــة علـــى الـــذات القومية. إذ الثقافة الأقوى عادة (كما يحدث مثلا من خلال شـــبكة *CNN* الإخبارية) تعمد إلى نقل بعض الأحداث الصغيرة التى تحدث في بلد مـــا بكل تفصيلاتها ووقائعها الجزئية، وتضخمها بـــصورة تتجـــاوز حجمهـــا الحقيقى، فى الوقت الذى قد ترى فيه وسائل الإعلام فـــى اطـــار الثقافـــة

القومية أن هذا الحدث عادى ومألوف وقد يحدث فى كل مكان، ولايتوقـع أنه يضيف جديدا لفهـم المـشاهد. وهنـا يحـدث نوعـا مـن الازدواج السيكولوجي لدى المشاهد أيهما يصدق ؟ النتيجة الحتمية فى هذه الحالـة سوف تبدو فى إخفاق مصداقية الثقافة القومية، مما يـنعكس سـلبا علـى الجماعة، ويؤدى تدريجيا إلى أن يصل المجتمع لنقطة يفقد عندها توازنه، مما ينتهي إلى تفكك الجماعة ذاتها، وبالتالي يعمد أفرادها إلى تبنى القـيم المستقاة من ثقافة الهيمنة. – إن الفخ الثقافي الذى وقعنا فيه هو فخ قـوي تراكمت فوقنا فيه أغصان كثيفة تخفي عنا حدوده ووحشيته، فهل يمكن لنا أن نتحرر منه ؟ " (عمانويل فالرشتاين ص ٥٥).

... لقد اسلفنا القول فيما هو وصفي تحليلي، حيـث عرضـناه لمقومـات الثقافتين المعولمة والمحلية، وكأن مناخ العولمة وضعنا أمام ثنائية جديـدة مغايرة لثنائية سنو الشهيرة بين الثقافة العلمية والثقافة الأوربية. بيـد أن التساؤلات التى تطرحها ثنائية العولمة فى إطارها الثقافي تختلف إلي حـد كبير عن ثنائية سنو، من حيث النتائج والأثـار الـسلبية، بـل والحـدود المشاركة بالفعل فى مكونات كليهما.

. وما يتبادر إلي الذهن الأن ، في صيغة تساؤلات تعبر عن إشـكاليات حقيقية تعاني منها الثقافة الوطنية في مواجهتها لمخاطر العولمة. فهل نحن امام ثقافة وطنية متماسكة وقادرة من حيث القوة على الاستمرار ؟ وهـل هي ثقافة واحدة متجانسة لا تحتوي بداخلها على جملة ثقافات ومعـارف ورؤي تتدرج البنا من مشارب متعددة وتيارات سياسية مختلفة وتفسيرات

دينية ومذهبية متباينة ؟ ماهي العلاقة بين الثقافة واللغة ؟ والثقافة والمرجعيات الفكرية والدينية ؟ بمعني أخر هل ثقافة المغرب العربي – ذات المرجعية الرشدية – تختلف عن ثقافة المشرق العربي – ذات المرجعية الغزالية – تختلف عن ثقافة الاتراك والأفغان والايرانيين ؟ وهل نعتبر هذا تنوع أم أختلاف ؟ وهل هذا التباين يمثل عنصراً فاعلاً وارضافياً يضيف الجديد إلى البعد الحضاري العربي الإسلامي أم لاً ؟ . ثم ماهو أثر الاحتلال بصفة عامة على ثقافة الأمة ، وهل اختلفت المقومات الثقافية لدينا باختلاف جنسيات المحتمل (انجليزي – فرنسي – ايطالي) ؟ لاشك أن كل هذه التساؤلات وغيرها كثير سوف تلعب دوراص هاماً في قدرتنا علي فهم ةاستيعاب الظواهر التي لحقت بالثقافة القومية (ماقبل العولمة). وهو مايحتاج منا إلي مزيد من الفحص والنقد والتحليل علي المستوي الابستمولوجي والميتودولوجي لانتاج إجابات ناجحة تسهم بقدر فى بورة ثقافة قومية تمتلك الحد الأدني من مواصلة السير ومقومات الفعل الحضاري وقدرات المواجهة "ومع ذلك فإننا ندرك أ، تشريق العالم *Orientalization of the world* هو مشروع عالمي غير مستبعد " (جورين لارين ص ١٣) فقد سبق أن اشرقت الحضارة الإنسانية من بين ظهرا تينا ولا شك ان هذه الأمكانية لاتزال قائمة بشرط إمتلاك إرادة الفعل وإمكانات التقدم.

وتأسيسا على ما سبق فإن الثقافة القومية لابد وأن تكرس نفسها لتطوير البنى القومية المتمثلة فى منظومة القيم بالصورة التى تسمح لها باستيعاب المتغيرات العالمية.

الهوامش

١ إننا ننظر إلى مصطلح العولمة Globalization على إنه قديم نسبيا، ونرى أنه يرجع من حيث ظهوره كمصطلح إلى عدة قرون مضت ، وليس إلى القرن الخامس عشر كما يرى روبرتسون ، إذ أن الفكرة ذاتها قديمة قدم الفكر البشرى، وربما ترجع جذورها إلى الإسكندر الأكبر الذي أراد أن يفرض نمطا فكريا وثقافيا وسياسيا على العالم من خلال إنشائه الإسكندرانيات كمدن تحمل الطابع الإغريقي، وكانت الإسكندرية المصرية أهمها جميعا. ويمكن لنا أن نتبين هذا من خلال تتبعنا لهذا الجانب التاريخى الذى يشكل بعدا مهما فى الفهم

تبدو النزعة العالمية فى فكر الإسكندر الأكبر إذا عرفنا أنه أراد فى إطار مشروعه الكبير مزج حضارة الشرق بحضارة الغرب ، واسقاط الحواجز بين الاغريق وغير الاغريق من خلال أغرقة العالم . لكن خلفاءه لم يلتزموا بهذا الاتجاه بعد وفاته مما أدى إلى تعطيل مشروع الامتزاج الحضاري وظهور فكرة التقاء عناصر من الشرق والغرب، وهو ما يطلق عليه مؤرخو الحضارات فكرة الازدواج الحضارى. وموازيا لهذا التيار تماما صدر اتجاه نحو النشاط الدولي الواسع النطاق الذي ضم الشرق والغرب وقتها، وكانت الإسكندرية مركزه الرئيسي. وقد شمل هذا النشاط المجالات الحربية والثقافية والسياسية والاقتصادية. لكن يبدو أن الظروف التاريخية والصراع السياسي الذي شهدته المنطقة لم يساعدا على اكتمال مشروع الإسكندر فى اتجاهيه فوأدت الفكرة ، واختزن الغرب مشروعه ليبدأ فى تفعيلة قبل بداية القرن الحادي والعشرين.

وما تطلعنا عليه فكرة العولمة التي اتجه إليها الإسكندر الأكبر يتمثل فى المواجهة التي قامت بين الذات اليونانية وبقية العالم ، فقد عمد الإسكندر إلى تزويج قواده من بنات وزوجات الملوك والحكام الذين قتلوا فى أثناء المعارك وهم يدافعون عن بلادهم، وهذا التوجه يشير ضرورة إلى أن القائد اليوناني (نموذج الغرب) يعتبر نفسه الفاعل الرئيسي (وهو نفس الدور الذى تلعبه أمريكا الآن) وإليه تتجه شتى الاتجاهات العائلية التى يربطها جميعا فى حزمة واحدة هو مركزها.

[2] السيد الزيات ، الخصوصية الثقافية وتحدى العولمة ، ١٩٩٨

[3] المرجع السابق

[4] ماهر عبد القادر محمد، معالم على طريق الفكر العربى المعاصر ،دار الثقافة العلمية ، ٢٠٠٢ ، ص ٩٤ -٩٥

[5] عبد الخالق عبد الله ، المرجع السابق

[6] ابراهيم عرفات ، السياسة المقارنة فى إطار العولمة ،ص ١٤٩

[7] المرجع السابق ، ص ١٤٩

[8] المرجع السابق ، ص ١٤٩

[9] كريم أبو حلاوة ، الأثار الثقافية للعولمة ، ص ١٨٧
[10] كريم أبو حلاوة ، المرجع السابق ، ص ١٨١
[11] السيد ياسين ، المرجع السابق ، ص ٢٤ وما بعدها
[12] السيد ياسين ، العولمة والطريق الثالث ، ص ٣٥
[13] المرجع السابق ، ص ١٦٦
[14] محمود أمين العالم ، جدل العولمة والهوية ، مجلة جسور ، ١٩٩٩ ص ٥
[15] حيدر ابراهيم على ، الثقافةالوطنية والتعددية : حدود الخاص والعام ، مجلةالنهج ، ربيع ١٩٩٨ ، ص ٦٥
[16] السيد ياسين ، العولمة والطريق الثالث ، ميريت ، ١٩٩٩ ، ص ١٨
[17] المرجع السابق ، ص ص ١٥-١٦
[18] عبد الخالق عبد الله ، العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، عالم الفكر ، أكتوبر-ديسمبر ، ١٩٩٩ ، ص ٥٩
[19] محمد السيد سليم ، تعقيب حول العولمة والعلاقات الدولية ، ص ١١٩
[20] الحبيب الجنحانى ، ظاهرة العولمة : الواقع والآفاق ، عالم الفكر ، اكتوبر-ديسمبر ، ١٩٩٩ ، ص ١٠
[21] عبد الخالق عبد الله ، العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ، ص ٦١
[22] السيد ياسين ، المرجع السابق ، ص ١٥
[23] اسامة الخولى ، العرب والعولمة ، ص ١٠
[24] عدنان عباس على ، (مترجم) فخ العولمة ، المقدمة
[25] عبد الخالق عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٦٩
[26] ماهر الشريف ، ماذا يعنى الاستقلال فى زمن العولمة ، مجلة النهج ، ربيع ١٩٩٨ ص ٤٠
[27] ابراهيم فتحى ، العولمة والهوية الثقافية ، ص ١٠
[28] السيد ياسين ،العولمة رؤية ابستمولوجية ،ص ٤٢ ، مقال فى كتاب العولمة والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، القاهرة ،٢٠٠٠
[29] ابراهيم عرفات ، المرجع السابق ، ص ١٤٣
[30] محمد عابد الجابرى ، العولمة والهوية الثقافية ،ص ١٤٣
[31] أحمد عبد الونيس ،العولمة والقانون الدولى ، ص ١٨٩
[32] محمد عباس ابراهيم ، الثقافات الفرعية ، ص ١٣٤
[33] نبيل راغب ، أقنعة العولمة السبعة ، ص ٣١٧

[34] محمد عباس،ص ص ١١٧ – ١١٨
[35] جورج لاريين ،الايديولوجيا والهوية الثقافية ، ص ٢٤٦
[36] المرجع السابق ، ص ٢٤٦
[37] ماهر عبد القادر ، مشكلات الفلسفة ، الفصل الأول
[38] على جلبى وآخرين ، علم الاجتماع الثقافى ، ص ١٨٤
[39] نبيل راغب ، المرجع السابق ، ص ٣٢٠
[40] على جلبى وآخرين ، علم الاجتماع الثقافى ، ص ٢٤٣
[41] الجابرى ٣٠٢
[42] يحيى الرخاوى ، اللغة العربية وتشكل الوعى القومى ، ص ٣١
[43] ماهر غبد القادر ، بنية المجتمعات العلمية
[44] عرفات ١٤٩
[45] على جلبى وآخرين ، علم الاجتماع الثقافى ٢٤٣
[46] حلبى ٢٠١
[47] جلبى ٢٤٤
[48] نبيل راغب ٣١٤
[49] نبيل راغب ٣١٦
[50] نبيل راغب ، ٣١٢
[51] نجاح كاظم ٥٤
[52] نجاح ٥٤
[53] نجاح ١٢٨
[54] نجاح ١٢٩
[55] الجابرى ٣٠٠
[56] الجابرى ٣٠١
[57] الجابرى ٣٠١
[58] الجابرى ٣٠٢
[59] الجابرى ٣٠٣
[60] عبد الله عبد الخالق ، المرجع السابق ، ص ٧٥
[61] السيد الزيات ، المرجع السابق .
[62] حيدر إبرهيم على ، المرجع السابق ، ص ٦٥
[63] محمود أمين العالم ، المرجع السابق ، ص ٦
[64] السيد الزيات ، المرجع السابق .